موقف الحوزة العلمية النجفية من نشاة الدولة العراقية وتطورها السياسي 1921 - 1958

د .حسن علي عبدالله حسن السماك/ جامعة القادسية / كلية التربية / قسم التاريخ

المقدمة

يمتد تاريخ الحوزة العلمية في النجف الاشرف إلى ما يقارب الإلف سنة وبالإمكان اعتبار تاريخ وصول الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي المتوفى عام 460 للهجرة والدراسة فيها بعد اضطراره للهجرة إليها من بغداد وذلك عام 448 للهجرة اثر الاضطهاد الذي تعرض إليه على يد السلاجقة ومنذ ذلك التاريخ أضحت النجف حاضرة علمية تحتضن الطلبة المهتمين بالدراسات الإسلامية والوافدين إليها من مختلف دول العالم الإسلامي وبعد إتمام دراساتهم يعودون من حيث أتوا ليمارسوا التبليغ والإرشاد والدعوة وفي ضوء ذلك أضحت حوزة النجف العلمية مصنع المراجع والقيادة الطبيعية للمجتمع الإسلامي .

يعد القرن التاسع عشر يمثل المنعطف المتميز في حوزة النجف العلمية باعتبارها أضحت الحاضرة العلمية الأوسع والاهم بعد تبلور مؤسسة المرجعية وتدخلها المباشر في المنعطفات السياسية مع إنها لم تتمكن من مواكبة التحولات التي حدثت في المدد اللاحقة .

من هنا تأتي أهمية البحث المعنون موقف الحوزة العلمية النجفية من نشأة الدولة العراقية و تطوها السياسي 1921 – 1958 .

قسم البحث على مبحثين :-

حمل المبحث الأول عنوان " مساهمة المرتكزات النجية في استقرار الحوزة العلمية " تناول المبحث الأول الحوزة العلمية نشأتها والمراحل التي مرت بها ، وتعرض إلى قراءة في أحوال النجف جغرافيا ، إداريا ، اجتماعيا وثقافيا وأثره على حياة السكان وتطورهم واثر كل هذه المؤشرات في استقرار الحوزة العلمية بالنجف الاشرف .

جاء المبحث الثاني بعنوان الحوزة العلمية النجية وبناء الدولة العراقية للمدة من 1921 -1958 وتناول في هذا المبحث تشكيل المملكة العراقية وتنظيم العلاقات العراقية البريطانية في ضوء المعاهدات التي بدأت عام 1922 وسيتناول المبحث فاعلية الحوزة العلمية في إن تكون عنصرا لتهدئة المجتمع وبالإمكان استغلالها لتكون عنصرا لإقلاق الحكومة كما حدث عندما تم إدخال العشائر في السياسة العراقية وممارستها الدور السلبي على صانع القرار السياسي وحتى إخراجها من الساحة السياسية واثر ذلك على الحوزة العلمية في النجف الاشرف إما المبحث الثالث حمل عنوان الحوزة

العلمية والأحداث القومية والوطنية وفي مقدمة تلك الأحداث العدوان الثلاثي على مصر عام 1956 والذي يعد من الأحداث المهمة في الساحة القومية وكيف وقفت الحوزة العلمية من تلك الأحداث عندما دعا زعيم الحوزة العلمية السيد محسن الحكيم الجماهير إلى التجمع في الصحن الحيدري الشريف والدعاء الجماعي والابتهال إلى الله تعالى لينصر مصر وكذلك بعث الشيخ محمد المظفر في تشرين الثاني عام 1956 إلى شيخ الأزهر برقية تأييد لمصر ضد أعدائها . أما الأحداث الوطنية فتعد ثورة 14 تموز عام 1958 من ابرز الأحداث الوطنية .

اعتمد البحث على مصادر متعددة أبرزها الوثائق العراقية المنشورة وغير المنشورة ، وفي مقدمة الوثائق المنشورة مجموعات القوانين والأنظمة الصادرة من الحكومة العراقية لسنوات مختلفة ابتدءا من عام 1920 إما الوثائق غير المنشورة وهي التقارير التي رفعتها المتصرفيات إلى وزارة الداخلية عن الأحداث الجارية في مناطقها وفي مدد مختلفة ووجد الباحث في تلك التقارير متابعة لحركات علماء الدين ومقلديهم . إضافة لذلك استعان الباحث بعدد من المراجع العراقية التي أزالت الغموض في بعض المواقع.

أملي إن أكون قد وفقت في إيضاح ما سعيت له فان وفقت فلي أجران وان أخفقت فلي اجر الباحث والحمد لله رب العالمين

المبحث الأول

مساهمة المرتكزات النجية في استقرار الحوزة العلمية

الحوزة العلمية النشأة والتكون

ا لحوزة مشتقة من الحوزة وهي كل من ضم شيئا إلى نفسه وحازه واجتازه ، والحيز ما انظم للواء وكل ناحية حيز والحوز الناحية ، وبالتالي تصبح المنطقة التي تضم العلماء تسمى الحوزة باعتبارها جازتهم وبانتقالهم تنتقل الحوزة [1] .

لقد اقترنت فرائض العبادة في الإسلام بالتعليم مما دفع المسلمين السعي لنيل أية درجة من التعليم ولاسيما العلوم الدينية [2] . وأثبتت الحوزة العلمية عبر تاريخها الطويل وضمن دائرة اهتماماتها الدراسية إنها تستطيع إن تخرج علماء على مستوى المراجع من الوعي العلمي أو الفقهي.

[1] - محمد بن ابي بكر بن عبدا لقادر الجزائري ، مختار الصحاح ، (بيروت 1981) ، ص 16

[2] - عدي حاتم عبدا لزهرة ألمفرجي ، النجف الاشرف وحركة التيار الإصلاحي 1908 – 1932 ، (النجف 2005) ، ص 25

تعد حوزة النجف الاشرف من أقدم الحوزات العلمية في العالم الإسلامي وتحديدا في عالم إتباع أهل البيت عليهم السلام وتعد الحوزة العلمية ما هي إلا امتداد لمدرسة الكوفة التي وضع أساسها الأول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) عندما كان في الكوفة ثم أقام دعائمها ووضع نظمها العامة وطورها بشكل كبير الإمامان الباقر والصادق عليهم السلام ، وبالتالي فان الحوزة هي امتداد لتلك المدرسة العريقة التي كانت منذ صدر الإسلام ، وكان لحوزة النجف الاشرف دور كبير وواضح منذ انتقال مؤسسها المعروف شيخ الطائفة الطوسي[3] من بغداد إلى النجف ووضع الدعائم الأساسية لهذه الحوزة ومنذ ذلك اليوم أضحت حوزة النجف الاشرف هي الأولى في عالم جماعة أهل البيت [4]

حظيت الحوزة العلمية النجية بمكانة مرموقة في مذهب أهل البيت واحتلت مركز الصدارة على الصعيدين الفكري والثقافي وتأسست على يد أئمة أهل البيت وأصبح المجرى العام للحوزة يتمثل بطلب المعرفة الإسلامية والوقوف إلى جانب الحق والتضحية من اجله ، إلا إن أهم ما يجب الاحتفاظ به في تاريخ الحوزة العلمية هو روح الاجتهادية التي كان رزق بها طلبتها فقد كان أساتذتها يعلمون طلابهم إن عليهم إن يجتهدوا في كل درس يقرا وه مع إدراكنا بان مناهج الحوزة بحاجة إلى تحديث في المنهج والتنظيم وحاليا لأتمثل الموقع العلمي الذي يوازي حاجات العصر وتحدياته [5] . مع ذلك حددت الحوزة خصائص كل من يسعى للاستزادة من الفكر والعلم الحوزوي تمثل في :-

التقوى، العلم والمعرفة ، الوقوف والتضحية في سبيل الحق . ثم وضعت الضوابط المالية على الحقوق الشرعية، إلا إن نسبة عدد الطلبة الدارسين في الحوزة قياسا إلى مواردها المالية [6] يعد قليل جدا.

لقد ظلت النجف تشكل المظلة الروحية للحوزات الدينية الشيعية في العراق على اعتبار ان جميع الحوزات تدرس الفكر الشيعي والعقيدة الأساسية فيه الإيمان بالإمامة وهي ضرورة دينية يجب إن تنحصر في الإمام علي بن أبي طالب (ع) وأولاده من فاطمة ، وان جزءا أساسيا من عقيدتهم رفض ومقاومة السلطان الجائر واعتبروا معظم الخلفاء غاصبين الحكم ، الأمر الذي الحق بهم اضطهادا وقمعا بصورة متواصلة ، إلا إنهم اعتبروا هذا الأمر تحدي واستجابوا له بمزيد من الوحدة والتضامن واكتسب إيمانهم طابعا جهاديا ومثلوا المعارضة المستمرة كما وصفهم الدكتور توفيق الطويل " كان

---

[3] - أبو جعفر محمد بن محمد بن الحسن المولود في طوس عام 597 هجرية / 1201 ميلادية ، ويعد الطوسي من رجالات العلم البارزين في بغداد تتلمذ على يد الشيخ المفيد انتقل إلى النجف من بغداد بعد عام من سيطرة السلاجقة على بغداد عام 449 هجرية ، وأسس حوزة النجف العلمية ، ألف كتب عديدة في التفسير والحديث والفقه . توفي في النجف ودفن فيها للمزيد ينظر حسن الاسدي ، ثورة النجف على الانكليز ، (بغداد 1975) ، ص 33

[4] -أية الله السيد محمد باقر الحكيم ، الحوزة العلمية نشوؤها مراحل تالتالية:ارها "خطب وأحاديث ومقابلات " ، ط1 ، (إيران 1424ه) ، ص 86

[5] - المصدر نفسه ، ص 184 .

[6] - المصادر المالية للشيعة والتي تدعم الحوزة العلمية تدعم عن الطرق التالية :-

دفع الخمس للسادة ، الزكاة الذي يدفع للفقراء من خلال العلماء ، رد المظالم الذي يأتي من خلال موظفي الحكومة ، ثلث الإرث ويدفع للمجتهدين ، الأوقاف الدينية الشيعية وهي على شكل أراضي وعقارات ، المساهمات الواردة من الهند وإيران وغيرها من المناطق الأخرى للمزيد ينظر غسان العطية ، العراق نشأة الدولة 1908 -1921 ، ترجمة عطا عبدا لوهاب ، (لندن 1988) ، ص 67 .

للشيعة فضل لحوض في أغناء المضمون الروحي للإسلام وانه يمثل حركاتهم الجامحة " [7] مما تقدم يبدو لنا إن تاريخ حوزة النجف البعيد والقريب جعل تواجد الزعامات الدينية العربية وغيرها امراً طبيعيا في ظل دولة عراقية حديثة التي برزت إلى الوجود في بداية العقد الثاني من القرن العشرين [8] .

لم تستقر الحوزة العلمية في مكان محدد طيلة المدة التي سبقت استقرارها في النجف فقد تنقلت بين الحلة في أوائل القرن الثالث عشر الميلادي إلى أوائل القرن الخامس عشر ثم كربلاء في القرن الأمن عشر وسامراء في القرن التاسع عشر ثم النجف والتي كانت المحطة الأخيرة والتي امتازت عن المدن المقدسة السابقة باعتبارها المدينة الأكثر قدسية من المدن الأخرى لاحتضانها جثمان الإمام علي (ع) واضع الأساس الأول للحوزة العلمية .

قراءة في أحوال النجف جغرافيا – إداريا – اجتماعيا – ثقافيا

النجف وجمعه نجاف ويعني التل والمكان الذي لايعلوه الماء وهي ارض مستديرة ومشرفه على ما حولها تشبه المسنات ، يحفها الماء من جوانبها وينجيها أمام السيول فهي كالنجد والسد ويغلب على شكلها الاستطالة وتسمى أيضا الغري [9] والمشهد [10] ووادي السلام والطور والربوة [11] .

ازدحمت مدينة النجف بالزوار كما غيرها من المدن المقدسة لذلك عرفت بالمشاهد وأصبحت هذه التسمية هي الأكثر شيوعا وكما قال عنها ابن بطوطة مدينة مشهد علي بن أبي طالب وأهلها كلهم روافظ وهم تجار يسافرون وأهل شجاعة [12] .

تقع النجف الاشرف على حافة الهضبة الصحراوية الغربية من العراق وعلى الجانب الشمالي من الفرات على رابية مرتفعة على ارض رملية تطل غربا على بحر النجف الجاف ، إلا إنها تتميز بشحه الماء وعلى جانبها الشمالي والشرقي تقع مقبرة وادي السلام التي تعد من المقابر الكبيرة في العالم ، هذا الموقع جعلها مفتوحة أمام الصحراء وبالتالي عرضة لهجمات الأعراب الغزاة لذلك جاءت فكرة تسورها . حيث طوقت النجف بستة أسوار لهذا الغرض وازدادت أهمية المدينة عندما شيد الخليفة العباسي هارون الرشيد أول بناء على القبر الشريف وبني فوق الضريح قبة بيضاء بحدود عام 786ومنذ هذا التاريخ اخذ الزوار يتوافدون على القبر وينشرون النذور حوله ويدفنون موتاهم إلى جواره [13] .

---

[7] - وميض جمال عمر نظمي ، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة الاستقلالية في العراق ، ط1 ، (بيروت 1984) ، ص 115 ؛ محمد جواد مغنية ، مع علماء النجف الاشرف ، (بيروت 1992) ، ص 198 ؛ عدنان عليان ، الشيعة والدولة العراقية الحديثة " الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي " 1914 – 1958 ، ط1 ، (بيروت 2005) ص 138 .

[8] - عادل رءوف ، عراق الغد ، ط1 ، (دمشق 2002) ، ص ص 147 – 152 .

[9] - الغري وتعني الحسن في الرجال

[10] - المشهد وهو مجمع الخلق ومحفلهم وكل ما يشهده البشر وتحتشد به

[11] - شهاب الدين ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، (بيروت 1977)، ص 131؛ جمال بابان، أصول أسماء المدن والمواقع العراقية، ج1، (بغداد 1965)، ص 300.

[12] - داويسوسة، روتلس ، عقيدة الشيعة ، تعريب ع ، م (مصر 1923) ، ص 78 .

[13] - حيدر نزار عطية السيد سلمان ، الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ودوره الوطني والقومي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد التاريخ العربي ، (بغداد 2007) ، ص 14

تعتمد النجف في حياتها الاقتصادية على التوريد وان أهم مصدر مالي للنجف يتمثل بوصول الآلاف الزوار من جميع أنحاء العراق و العالم الإسلامي الذين يساهمون كثيرا في زيادة ثروة المدينة [14] .
تبعت النجف إداريا إلى لواء كربلاء في ظل السيطرة العثمانية [15] حتى بداية الحرب العالمية الأولى [16] . ولكن في أواخر الحرب العالمية تم إنزال درجة كربلاء إلى قضاء تابع للواء الحلة بعد إن كان الأخير قضاءا تابعا للواء الديوانية حتى عام 1891 ، ثم أعيدت درجة الحلة لتصبح لواءا تتبعه أقضية الحلة الديوانية ، المسيب والهندية ، ثم أضيفت إليه كربلاء وذلك في حزيران عام 1918 . يبدو إن إلحاق كربلاء بلواء الحلة لضمان الاستقرار والتوازن في المنطقة كما أكدت ذلك المس ببل " ... إن الذين أوكلت إليهم إدارة كربلاء استخدموا السلطة لتحقيق مأربهم الخاصة وهذا بطبيعة الحال يثير سخط رؤساء البلدة الآخرين [17] . إلا إن هذا الإلحاق لايعني بطبيعة تبعية النجف إلى كربلاء بفعل تحقيق الهدف البعيد والمتمثل بتفتيت المناطق المقدسة ، لذلك نقلت إدارة النجف لتلحق بالشامية بعد إن رفعت درجة الأخيرة من قضاء تابع للواء الديوانية إلى لواء مستقل وأصبحت النجف قضاء تابعا إلى للواء الشامية وذلك عام 1918 ، ومرد ذلك إضافة للسبب السالف الذكر لتحقيق التأثير الايجابي المتبادل بين علماء الدين والعشائر لصالح الإدارة البريطانية ، إلا إن النتائج جاءت معكوسة فقد تعاونت العشائر مع علماء الدين وولدت ثورة عام 1920 عند هذا الحدث أعادت الإدارة البريطانية ترتيباتها الإدارية السابقة بفعل المتغير الجديد ومن أبرزها تعين حكام جدد في المناطق بدل من الضباط السابقين وإعادة الخارطة الإدارية للمنطقة المضطربة من وجهة نظرهم حيث تم فصل الشامية عن النجف فألحقت الأولى بلواء الديوانية المتشكل حديثا في حين ألحقت الثانية بلواء كربلاء المعاد تشكيله ويبدو إن الإدارة البريطانية في إجراءها الأخير سعت إلى فصل المناطق المقدسة عن المناطق العشائرية لاعتقادها إن المؤثر الأول على العشائر هي المناطق المقدسة بفعل التأثيرات الروحية للعلماء فيها [18] .

مما تقدم يبدو لنا إن عوامل عدم الاستقرار الإداري للنجف يمكن تتبع أسبابه منذ أيام السلطة العثمانية والمتمثلة بضعف الإدارة العثمانية في ولاية بغداد وعجزها عن فرض النظام والاستقرار بخاصة في المناطق البعيدة نسبيا المركز كالنجف وكربلاء وغيرها الأمر الذي جعل بعض المناطق تمارس نوعا من

---

[14] -احمد سوسة ، وادي الفرات ومشروع سدة الهندية ، ج2 ، (بغداد 1945) ، ص 265

[15] - منذ عهد مدحت باشا الذي طبق قانون الولايات العثماني الذي صدر عام 1864 وفيه أصبحت النجف قضاء تابعا إلى لواء كربلاء وتبعت إلى قضاء النجف نواحي الكوفة ، شثاثة ، جعارة ثم ضمت اليها الرماحية وهور الدخن عام 1899 وكانت في حينها تتبع إداريا للواء الحلة ، ثم أعيدت إلى كربلاء وألحقت بها فيما بعد ناحية الرحالية وتبعت فيها إلى قضاء الدليم ، ثم أعيدت إلى لواء كربلاء . للمزيد ينظر ناهده حسين ويس ، تاريخ النجف في العهد العثماني الأخير 1831 – 1917 ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، (بغداد 1999) ، ص13

[16] - المصدر نفسه ، ص8

[17] - المس ببل، فصول من تاريخ العراق القريب، ط2، (بيروت 1971)، ص 113

[18] - British Colonial office Special Repot by his governmental the United King doom of Great Britain and Northern Ireland to the council of League of Nation on the progress of Iraq during (period 1920 -1931) (London 1931)

الحكم الذاتي من اجل تمشية إدارة مناطقها كما حصل في النجف ، وساهم هذا الأمر ببروز نخبة من الرجال وعلماء الدين وبعض الأسر المتنفذة تأخذ على عاتقها الزعامة السياسية والإدارية مثل أسرة أل كاشف الغطاء [19] وأسرة إل كمونه [20]وأسرة السادن [21] وأسرة الملاليم [22] . إن الرسم الجديد للإدارة المدنية قصد منه تحقيق وحدة عشائرية في إطار وحدة إدارية لذلك اعتبرت كربلاء والنجف مدن وطبقت عليها نظام الشرطة مثل ما طبق على مدن بغداد والبصرة [23] .

عاش في مدينة النجف مشاهير المجتهدين وعدد كبير من العلماء وأضحت أهم مركز شيعي في العالم الإسلامي ومركز للدراسات الدينية ، في ضوء ما تقدم أضحت النجف قبلة يسعى إليها كل من أراد مجاورة المراقد المقدسة والتزود بالعلوم الدينية ومن مختلف بقاء العالم ، هذه التشكيلة من الوافدين للنجف الاشرف أفرزت تركيبة سكانية غير متجانسة من حيث الأصل والثقافة والمهنة واللغة وبدورها عكست مشاكل اجتماعية مختلفة .

تتشكل النجف من أربع محلات رئيسه ولكل محلة رئيس مسؤول عن الأمن ضد أي خطر ، ولإفراد الحي قواعدهم وقوانينهم القائمة على مبدأ المصلحة والوحدة الجماعية :-

1- محلة المشراق في جهتها الشمالية وسكنها (72) رهطا [24]

2- محلة العمارة في جهتها الغربية وسكنها (175)

3- محلة البراق في جهتها الشرقية وسكنها (119) رهطا

4- محلة الحويش في جهتها الجنوبية وسكنها (81) رهطا [25] .

لقد احتضن سور النجف الأخير هذه المحلات وبذلك يصبح عدد الارهاط (447) أما عدد الرجال ضمن الحدود المذكورة يقدر 4023رجلا . ويمكن تصنيف سكان النجف العرب إلى فئتين معاديتين هما الزغرت ومن ابرز رؤسائها سيد مهدي ، السيد سلمان والحاج عطية أبو ككل وكاظم حبي ولشمرت ويمثلها الحاج سعد بن الحاج راضي [26] .

---

[19] - وهي من الأسر العربية ترجع في أصولها إلى قبيلة بني مالك ومن فروعها إل علي والجناح ، انحدروا من الحلة إلى النجف في حدود عام 1716 وفي مقدمة من هاجر الشيخ خضر بن يحي بن مطر ومن أولاده الشيخ محسن وحسين والشيخ جعفر الذي أصبح الجد الأخير للأسرة وسمية الأسرة بكاشف الغطاء نسبة إلى مصنف الشيخ جعفر للمزيد ينظر هلال كاظم ألشبلي ، مجلة الغري ودورها الثقافي والسياسي في العراق 1938 – 1945 ، رسالة ماجستير غير منشورة ،(القادسية 2005) ، ص 15

[20] - إل كمونه وهي من الأسر النجفية العربية ويرجع نسبها إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام . وقد اقر العثمانيين بحكم هذه الاسره وتولى نقباء هذه الأسرة حكم النجف للمزيد من التفاصيل ينظر عماد عبدا لسلام رءوف ، الأسر الحاكمة ورجال الإدارة والقضاء في العراق من القرون المتأخرة ، (بغداد 1992) ، نقلا عن ناهده حسين ، المصدر السابق ، ص 13

[21] - السادن ، ويطلق عليه الكليدار وهو الشخص المكلف بخدمة وتنظيم شؤون الحضرة الحيدرية ومعناه بالعربية صاحب المفتاح وتعد السدنة من المناصب الرفيعة والشريفة وهي شبه حكومية وراثية ومطلقة خاصة عندما يكون السادن علويا فيجمع بين منصبي السدانة ونقابة العلويين . للمزيد ينظر عادل رءوف، المصدر السابق، ص 341

[22] - سميت الملا لي نسبة إلى جدهم الملا عبدا لله وهم من قبائل عنزة ، عاشوا في النجف وسط مظاهر حكومة حقيقية لهم قصورهم وسجنهم وقواتهم المجندة المحلية . للمزيد ينظر ناهده حسين، المصدر السابق، ص 13

[23] - **British colonial office o p c I t , p 31**

[24] - الرهط مجموعة من الرجال يبلغ عددهم دون العشرة . للمزيد ينظر الرازي ، المصدر السابق , ص 259 .

[25] - ناهده حسين ويس ، المصدر السابق ، ص 9

[26] - بيل، المصدر السابق، ص 94.

أصبحت النجف المدينة الأبرز بين مدن العتبات المقدسة ومارست تأثيرا سياسيا ودينيا منذ أواخر القرن التاسع عشر وأفلتت من السيطرة العثمانية المباشرة وكما قال عنها احد الكتاب الغربيين إنها عالم في مدينة وتعدت شهرتها مدن العالم الإسلامي. والذي زانها أكثر احتضانها جثمان ابن عم رسول الله (ص) ، حتى أصبح الصحن الشريف من اكبر المؤسسات التعليمية والتي يمكن تسميتها بالجامعة التعليمية لتنوع الدراسة فيها [27] .

ساهمت المؤسسات العلمية في النجف الاشرف بظهور العلماء الأعلام وأضحى المتخرجون منها يمثلون فئة اجتماعية مؤثرة ليس في المجتمع ألنجفي بل في العالم الإسلامي لأنها مدينة العلم ومدرسة الفقه ومقر المجتهدين والمراجع العليا وقبلة الطلبة الدارسين من كل مكان لبلوغ الدرجات العليا في العلوم الدينية ولا يتم ذلك إلا من خلال الانخراط في الحوزة العلمية النجفية والتي تمنح ثلاثة القاب [28] تعد ضمن مراتب الاجتهاد [29] .

لايوجد منهج محدد للدراسة تمكن الطالب الانتقال من مرحلة إلى أخرى وعدم وجود مقياس للفحص الرسمي للمؤهلات المطلوبة وقد تستغرق الدراسة أكثر من عشر سنوات [30] . إلا إن المهم في الأمر حصول طالب الحوزة على الاعتراف من أعظم مجتهد يؤكد قابليته واهلليته ليصبح بعد ذلك مؤهل لإصدار فتاوى ثم يتوجب عليه جمع إتباع ومريدين له [31] .

برزت في النجف بموجب المعاير العلمية السالفة الذكر اسر علمية ومثلت مرجعيات ومن أبرزها :-

أسرة إل كاشف الغطاء [32] ، أسرة إل الجزائري [33] ، إل حرز الدين [34] إل ألجواهري [35] ، إل ألبراقي [36] ، إل الحكيم [37] . ساهمت الأسر العلمية المذكورة أنفا في فتح مدارس جديدة وخاصة [38] ، لاعتقادهم إن السلطة التي تسير الأمور لاتهتم بالتعليم عموما في مختلف أرجاء الدولة فما بالك في المناطق

---

[27] - ناهده حسين، المصدر السابق، ص 135.

[28] - حجة الإسلام ويطلق على الشخص الذي يستنبط الأحكام الشرعية ويبلغها ، أية الله ويطلق على الفقيه المجتهد الذي أصبح أهلا للرأي ، أية الله العظمى ويطلق على الفقيه المجتهد الذي أصبح مرجعا أعلى في التقليد . للمزيد ينظر سامي ناظم حسين المنصوري ، أية الله العظمى الشيخ مرتضى الأنصاري ن حياته ، عصره ، أثاره 1214 – 1281 هجرية / 1800 – 1864 رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة القادسية ، كلية التربية 2005) ، ص 40

[29] - يمثل المجتهد أعلى التسلسل الهرمي الديني للطائفة الشيعية ويصل لهذه الدرجة بعد إن يعترف به من قبل المتمتع بسلطة دينية. ينظر العطيةجتهاد عد كبير من العلماء ولكن قليل منهم أصبح له عدد كبير من الإتباع (المقلدين). ينظر العطية ، الصدر السابق ، ص 66

[30] - بيل، المصدر السابق، ص 90

[31] - المصدر نفسه ، ص 92 .

[32] - ويمثلهم الشيخ جعفر صاحب كتاب كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء . للمزيد حول الموضوع ينظر السيد احمد الحسيني، تراجم الرجال، (إيران 2000)، ص 67.

[33] ويمثلهم الشيخ محمد جواد الجزائري شقيق عبدا لكريم الجزائري

[34] - ويمثلهم الشيخ محمد بن عبدا لله صاحب كتاب الحج ينظر ناهده حسين، المصدر السابق، ص 144.

[35] - ويمثلهم محمد حسن صاحب الجواهر للمزيد ينظر محمد حرز الدين، معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء، ج2 (النجف 1981)، ص 226

[36] - ويمثله السيد إسماعيل والسيد حسمؤلف كتاباب تاريخ الكوفة، ينظر ناهده حسين، المصدر السابق، ص 144.

[37] - ويمثلهم السيد محمد علي الطبيب مؤلف كتاب المجربات الطبية ومنه جاء لقب الحكيم ، وهم بيت علم وأدب ودين وحصل كثير منهم على درجة الاجتهاد . للمزيد ينظر ناهده حسين، المصدر السابق، ص 144.

[38] - من المدارسألشبلي،لمدرسة المهدية التي تأسست عام 1867 من قبل الشيخ مهدي كاشف الغطاء ومدرسة المعتمد التي تأسست عام 1868 من قبل الشيخ حسين البر وجردي ومدرسة الاوخند الكبرى التي تأسست من قبل الشيخ الملة محمد كاظم الخراساني ومدرسة الشيرازي التي تأسست عام 1880 من قبل الشيخ محمد حسن الشيرازي . للمزيد ينظر ألشبلي ، المصدر السابق ، ص 7

البعيدة والتي تختلف معها في المذهب ومثال على ذلك النجف ، فكان المحور عدم الثقة عززه عدم اعتراف الدولة بالمذهب الجعفري أسوة بالمذاهب الإسلامية الأخرى المعترف بها [39] .

لم يقتصر الأمر على ذلك بل إن السلطان العثماني استحصل فتوى تشير بان الشيعة خارجون على الدين ويجب قتلهم . لذلك أمر بقتل كل من كان معروفا عنه بالتشيع داخلا بلاده. وساهم في الأزمة الصراع التقليدي بين الدولة العثمانية والفارسية التي كانت تدين بالمذهب الشيعي مما جعل الدولة العثمانية تنظر بعين الشك لولاء شيعة العراق معتقدة بازدواجية ولاء شيعة العراق ويرجحون الولاء للمذهب على أي اعتبارات أخرى . ويبدو إن الضغط الذي مارسته الدولة العثمانية على شيعة العراق دفعتهم للتطلع إلى الدولة الفارسية طلبا للمساعدة في سبيل التخلص من الظلم الطائفي العثماني مستغلين التقارب الجغرافي مع الدولة الفارسية [40] . ومن الممكن إضافة عامل أخر لموقف شيعة العراق المعارض للدولة العثمانية يكمن في جوهر الفكر الشيعي الذي يؤكد على وجوب المعارضة والثورة على الفساد والظلم مؤكدا إن الخروج على الحاكم الجائر من صميم الدين الإسلامي والصبر على الجور يعد خروجا على الدين وبذلك يتقاطع مع مذهب التسنين في ذلك [41] .

في ضوء ذلك اعتقدت السلطة العثمانية إن الشيعة يسعون للتخلص منها وهم يتحالفون مع الدولة الفارسية سبيل تحقيق أهدافهم والمتمثلة في التخلص من السيطرة العثمانية. ويبد إن السلطة العثمانية كانت صائبة في الشق الأول بعدما أضحت النجف ملاذا أمنا لكل من يعارض السلطة العثمانية وبذات الوقت أضحت النجف مركز إشعاع فكري إسلامي وحولته إلى ممارسة عملية في بداية القرن العشرين عندما بلغت النجف وحوزتها مركزا دينيا متميزا وبرز وفيها علماء الدين كأداة في تحريك وهم أساتذة في حوزتها .

المبحث الثاني

[39] - العطية،اني ، الفكر العربي في عصر النهضة (1798 – 1939) ، (بيروت 1968) ، ص 45 .
[40] - العطية ، المصدر السابق ، ص 70
[41] - العطية، لشيعه والحاكمون، ص 29

الحوزة العلمية النجفية وبناء الدولة العراقية

يعد إعلان الحرب العالمية الأولى وما أفرزته من إحداث ولاسيما في ظهور كيانات سياسية جديدة كانت في السابق جزءا من الدولة العثمانية من الممكن اعتباره منطلقا في موضوع بناء الدولة العراقية الجديدة. لقد دفعت الحرب التي دخلتها الدولة العثمانية ضد بريطانية وحلفائها إلى مناشدة الزعماء الروحانيين من المجتهدين لإعلان الجهاد ضد الغزاة وقد استجاب لهذه الدعوة معظم المجتهدين ولاسيما العرب حيث تمسكوا بمبدأ عدم إمكان التوفيق بين الإسلام والسيطرة المسيحية وتحفظ البعض الأخر مثل السيد محمد كاظم اليزدي وأحجموا عن الالتزام بشيء تحت شعار عدم استعداد الناس وضعفهم عسكريا [42] . وأتاحت الحرب كذلك الفرصة للزعماء المحليين في النجف وكربلاء لإملاء شروطهم على أو مساوماتهم مع الدولة العثمانية والبريطانيين ، ويبدو إن ما لاقاه المواطن من أساليب الدولة العثمانية والمتمثلة بالتجنيد الإجباري وسوء معاملة الموظفين الأتراك للسكان العرب وجاءت هزيمة العثمانيين إمام القوات البريطانية في الأيام الأولى للحرب في العراق كان مدعاة للمواطن للنيل من السلطة العثمانية ولاسيما في منطقة النجف الاشرف حيث تمكن سكانها من طرد القوات العثمانية وتشكيل حكومة محلية [43] ، تميزت باستقلالية الإدارة مع إدراكنا إن السلطة العثمانية استخدمت القمع الشديد ضد المساهمين في الأحداث سواء في النجف أو في الحلة وأيد بعض العلماء ثورة النجف ومنهم السيد محمد كاظم اليزدي في حين فقد آخرون اهتمامهم بمتابعة الجهاد ضد البريطانيين إلى المطالبة بالجهاد ضد الأتراك [44] إلا إن المدينة وفي ظل الاحتلال البريطاني دخلت بالمرحلة الثانية وذلك عام 1917 عندما تمكنت قوات الاحتلال التغلغل في المنطقة بصورة غير مباشرة والاتصال بعدد من شيوخ قبائل أبي صخير والمشخاب والنجف ووعدتهم بتقديم الامتيازات ومنها السماح لهم بإدارة مناطقهم في حالة تعاونهم مع الإدارة الجديدة وأثمر ذلك تعين حميد خان باعتباره أول ممثل حكومي لإدارة النجف في أب 1917 [45] . يبدو إن الإجراءات البريطانية في النجف الاشرف أدت إلى توحيد صفوف السكان المتذمرين وتكتلوا بصيغة معارضة للإدارة البريطانية وتم تنفيذ هجوم على القوة الهندية التي وصلت حديثا إلى الكوفة ف كانون الثاني عام 1918 وكانت نتيجة الهجوم خسائر في القوة الجديدة واستجابت الإدارة البريطانية مع الأمر وفرضت غرامة قدرها 500 بندقية و50 ألف ربية على المدينة واعتبرت الإدارة البريطانية إن رؤساء الأحياء مسئولين عن جمعها فلما رفض أبو كلل وكريم سعيد بن الحاج راضي التسليم أعلنت الإدارة البريطانية إنهما مطلوبان للعدالة . [46]

[42] - العطية ، المصدر السابق ، ص 111 .
[43] - شكل الحكومة المحلية أربعة نجفين منهم السيد مهدي السيد سلمان ، الحاج عطية أبو كلل ، كاظم صبي ، الحاج سعد بن الحاج راضي للمزيد ينظر ، العطية ، المصدر السابق ، ص 112
[44] - المصدر نفسه ، ص 153
[45] - المصدر نفسه ، ص 70
[46] - المصدر نفسه ، ص 300

لقد اعتمدت الإدارة البريطانية سياسة العقاب الجماعي والمعاملة القاسية مع النجفيين إلا إنها لم تنه المشاكل والأكثر من ذلك توسعت المعارضة وتألفت في أواخر عام 1917 جمعية باسم جمعية النهضة الإسلامية ومن ابرز أعضائها محمد علي بحر العلوم والشيخ محمد جواد الجزائري ، ومن الممكن القول إن الجمعية حظيت بدعم المرجعية والتي خططت لقتل مساعد الضابط السياسي في النجف الاشرف وتم ذلك في 19 آذار 1918 وقد أدركت الإدارة البريطانية إن مخطط القتل يهدف إلى دفعها لتنتقم من المدينة ومن الممكن استغلاله كما للدعاية ضدهم بين الشيعة لذلك ضربت حصارا على المدينة وكان فعالا ومؤثرا وقدمت الشروط المناسبة لرفع الحصار ومن أبرزها تسليم القتلة وغيرهم من ذوي العلاقة بالعملية التي نفذت ضد الحاكم البريطاني وتسليم 100 رجل من سكان تلك الأحياء لنفيهم كأسرى حرب ودفع غرامة قدرها ألف بندقية وخمسون ألف ربيه تدفع قدر الإمكان من الإحياء الثائرة يبدو إن الإدارة البريطانية بشروطها المذكورة تهدف إلى تفرغ النجف من مواردها البشرية الثائرة ومن السلاح المجود فيها وسحب بعض من إمكانياتها المالية [47] . كانت النتيجة تنفيذ حكم الإعدام بالمسؤلين على قتل الحاكم البريطاني وذلك في 30 مايس عام 1918 وحكم بالسجن والإبعاد إلى الهند ومنهم السيد محمد علي بحر العلوم والشيخ محمد جواد الجزائري [48] .

في ضوء التطورات الأخيرة عقد اجتماع في دار الكليدار حضره الضابط السياسي البريطاني الكابتن بلفور [49] وعدد من أعيان البلد والتجار والعلماء وفي الاجتماع قدم محسن شلاش [50] وهو من اغني رجال المال والتجار وقدم سيف الشرف للحاكم البريطاني وجاء في كلمته " إن الفعلة الاثميين قد قاموا بتمثيل المأساة الحزينة في النجف وأزهقوا روح الكابتن مارشال ذلك الرفيق المهذب المستقيم وأننا اشد ما نكون رغبة اليوم عن امتناننا لحكومتنا البريطانية ولموظفيها ولما أظهروه من تحل للكياسة [51] . أما موقف السيد محمد كاظم اليزدي باعتباره يمثل المرجعية الدينية من الأحداث الجارية في النجف فقد امتنع عن تأييد العصيان والتزم مسكنة باعتباره رجل دين لايتدخل في السياسة إلا انه قال للإدارة البريطانية بأنه يعارض العصيان واظهر ارتياحه لإجراءات الإدارة البريطانية العسكرية في التعامل مع إحداث النجف [52] . وزيادة في تعميق العلاقة مع المراجع العلمية قام الضابط السياسي في الشامية بزيارة السيد محمد كاظم

---

[47] - المصدر نفسه ، ص 301

[48] - المصدر نفسه ، ص 303

[49] - الكابتن بلفور وكان يسمى حاكم لواء الشامية والنجف ويقيم في الكوفة وما إن بلغ النجف إلا وضع خطة تفرض الحصار عليها وجاء لواء الجنرال ساند رسن لتنفيذها وكان اشغل شاطئ الفرات عند الكوفة وخاناتها ودورها المطلة على النهر وشرع يحفر الخنادق ويرفع المتاريس وينصب الأسلاك الشائكة وللنجف سور قديم فيه راتجات قام اللواء المذكور بإغلاقها على أهل المدينة كما وضع عليها الاحراس ليقطع القوت والماء عن ثوارها ودام الحصار 50 يوم وحاول الثوار النجفيون فكه فلم يوفقوا ثم أخذت المدفعية البريطانية ترمي المدينة بقذائفها وحلقت فوقها الطائرات فاضطر الثوار إلى الإذعان ، إلا إن التكافوء في قوة النار والحديد كان مفقود وقبض على قادة الثوار الذين تمالئوا على تل مارشال للمزيد ينظر سر ارنلد تي ويلسون ، بلاد ما بين النهرين خواطر شخصية وتاريخية ، ترجمة فؤاد جميل ، ج2 ، ط1 ، (بغداد 1971) ، ص 266

[50] - العطية،سن شلاش من أغنى رجال التجارة في النجف الاشرف وقام بعمل متميز خلال الحصار البريطاني للنجف الاشرف ، للمزيد ينظر ، وميض جمال عمر نظمي ، المصدر السابق ، ص 342

[51] - العطية ، المصدر نفسه ، ص 303

[52] - العطية،ان الجبوري ، النجف الاشرف ومقتل الكابتن مارشال 1918 ، " حقائق ووثائق ومذكرات من تاريخ العراق السياسي لم تنشر من قبل ، ط1 ، (النجف ، 2005)

اليزدي مرات عدة ونتيجة لهذا الأواصر أرسل الأخير رسالة للضابط السياسي ينصحه فيها أهمية اغتنام الفرصة لتخليص النجف من جميع الأشخاص المنحرفين سواء كانوا يرتدون العمة أو العقال سواء كانوا من رجال الدين أو الدنيا ويشير الضابط البريطاني بان اليزدي اشتكى له من المحاولات التي يقوم بها بعض العلماء لاستدراجه إلى موقف مناهض للبريطانيين [53] . يبدو إن موقف اليزدي ينطلق من مبدأ التقية وحضيه موقفه بدعم من قبل بريطانيا كما أكد ذلك احد التقارير البريطانية " بوسعنا الاعتماد على مساعدة اليزدي بين حين وأخر ولكن بشرط عدم ورود اسمه رسميا على الإطلاق [54] .

أدركت الإدارة البريطانية إن النجف تتحرك بتأثير المجتهدين المراجع الذين يحملون مميزات خاصة أبرزها خطهم المدعوم بالمقلدين وكما حدث عندما لبت واجب الجهاد عام 1914 والأحداث اللاحقة ، في ضوء ذلك وضعت الإدارة البريطانية أمامها خيارات محدودة منها ضرورة ترويض علماء الدين لصالحها أو ضبطهم باستخدام مختلف الأساليب الترغيب والترهيب .

هذه المؤشرات جعلت المرجعية الدينية تدرك إن المرحلة الجديدة تتطلب أساليب غير تقليدية للتصدي والبناء ووضعت لنفسها مهام الخوض في تحديث البني الأساسية للمجتمع الإسلامي في مختلف الجوانب لذلك التزم المراجع لاسيما من الذين سفروا خارج العراق بشروط السلطة التي وضعتها لمن يرغب العودة للوطن ومن أبرزها عدم التعرض للأمور السياسية التي قد تؤثر على صانع القرار السياسي وله الحق فيما دون ذلك في ضوء هذا الأمر ستدخل الحوزة العلمية في مرحلة تحديث الأسلوب وإعادة بناء القواعد التحتية للمجتمع ، وما النشاطات الفكرية للسيد هبة الدين الشهرستاني والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء والأعمال الفكرية للسيد عبدا لحسين شرف الدين وسعيها الدءوب في ترسيخ قواعد المرجعية وتوسيع نطاقها ومنهج الإصلاح الاجتماعي لمحسن الأمين ألعاملي للشعائر الحسينية . كل ذلك جعل الحوزة تعتقد أنها يجب تنفيذها ثم النظر بعد ذلك للأمور السياسية.

الاستفتاء العام [55]

يعد الاستفتاء العام الذي سعت الإدارة البريطانية لاجراءه في العراق والأسئلة التي عرضت فيه لذلك قام الحاكم الملكي العام السير أي اتي ولسن بزيارة السيد البزدي والتحدث معه بشان الاستفتاء باعتباره يمثل زعامة الحوزة النجفية وكما أشار ويلسن بأنه في صباح الثاني عشر من كانون الثاني زرت السيد محمد كاظم اليزدي الطاعن في السن لمحاورته بشان الاستفتاء وعندها قال اليزدي أنا انطق باسم الذين لايستطيعون التعبير عن أنفسهم ومهما تكن الحكومة أرجو إن تتركوا لهم إن يتبصروا بمصالحهم التي تتعلق بالشيعة خاصة ولا سيما العامة التي لأتعرف من الأمر شيئا والتي لأحول ولا قوة لها إن هؤلاء

[53] - العطية ، المصدر السابق ، ص 304

[54] - المصدر نفسه ، ص 304

[55] - لقد تضمن استفتالعطية،ن ثلاثة أسئلة وهي كما يلي :- هل يحبذ الناس دولة عربية واحدة تحت رعاية بريطانيا ؟ هل يريدون رئيسا عربيا ؟ فمن هي الشخصية المفضلة ؟ للمزيد ينظر غسان العطية، المصدر السابق، ص 352

الناس ليسوا متحضرين وان تنصيب الموظفين العرب سيؤدي إلى الفوضى أنهم لم يتعلموا معنى الاستقامة والى إن يتعلموا ذلك فيجب بقاؤهم تحت أوامر الحكومة ولا يمكن إيجاد شخص يكون مقبولا كأمير وفيها أكد الأخير بأنه ينطق باسم الذين لايستطيعون التعبير عن أنفسهم وارجوا إن تتركوا لهم التبصر بمصالحهم ، ويبدو لي إن زعيم الحوزة اعتبر راية يوجه لمن لاستطيع التعبير بنفسه أما من يستطيع فله حرية اختيار القرار المناسب من وجهة نظره ولسان حاله يقول إن الموقف يمثل القناعة الشخصية بالموقف ، إلا إن موقف الأخير جعل النجف تقف بجانب البريطانيين [56] . إلا إن موقف اليزدي زعيم الحوزة تقاطع معه تماما موقف المجتهد المرزا محمد تقي الشيرازي في كربلاء واصلة راجع در فتوى في 24 كانون الثاني عام 1919 تفيد بأنه ليس لأي مسلم إن ينتخب أو يختار غير مسلم لحكم العراق ويعد هذا الموقف الأول مرجع اعلي شيعي رأيا علنيا ضد البريطانيين [57] .

الحوزة العلمية وأفاق بناء الدولة في ظل الانتداب البريطاني

ثورة العشرين وتأثيرات المرجعية

بلغت المدن المقدسة أوج تطورها في حوالي منتصف القرن التاسع عشر ويأتي ذلك بفعل عاملين:-

الأول لتطورها الثقافي وازدهار حوزتها العلمية ومدارسها الدينية والتي بلغ عددها حتى بداية الحرب العالمية الأولى حوالي 17 مدرسة وإعداد كبيرة من الطلبة. ويبدو إن سبب ازدهار المدارس الدينية في تلك المرحلة راجع إلى مجانية التعليم فيها بالإضافة إلى ذلك إن الطالب يتقاضى فيها راتبا شهريا وبالتالي فهي لاتكلف ذوي الطالب بل تساعدهم في حياتهم [58]. هذا الأمر يعني تخرج إعداد كبيرة من الطلبة حاملي الإجازات العلمية الأمر الذي حملهم على الانتشار في مناطق العراق المختلفة وكان للمناطق القريبة من المدن المقدسة الحصة الكبيرة وبفعل تواجد هؤلاء الشيوخ من ذوي العمائم وحاملي الإجازات بين مختلف فئات المجتمع ولاسيما في المجتمعات الريفية مما مكنهم من نشر التشيع في كل المناطق التي زاروها ولاسيما أنهم كانوا يقومون بحسم المسائل التي لها مساس بالحياة اليومية لأبناء المناطق الريفية والبسطاء من الناس كالنكاح والطلاق وغيرها [59]

الثاني تطور اقتصادي بفعل ربط العراق بالسوق الرأسمالية الأمر الذي حتم نمو التجارة واتساع طبقة التجار وكذلك بروز دور رؤساء العشائر الممولين للتجار بالإنتاج الزراعي والذين صارت نظرتهم لأبناء عشائرهم كونهم وسيلة لتحقيق الربح والثروة وهم بذلك قيمة اقتصادية. وبفعل هذه العلاقة الجديدة أضحى الرباط التاريخي بين الشيخ وفلاحيه واهنا لذلك كان على الشيخ الاستناد إلى علماء الدين والسادة الذين يتمتعون بالمكانة الطيبة بين العشائر وبالتالي عندما نتابع تأثير الزعامة الروحية للمدن المقدسة يمكن إن

[56] - عبدا العطية،حسني ، الثورة العراقية الكبرى ، ط3 ، (لبنان 1972) ، ص 43 ؛ وميض جمال عمر نظمي ، المصدر السابق ، ص 89

[57] - غسان العطية ، المصدر السابق ، ص355

[58] -جعفر الشيخ باقر محبوبة، ماضي النجف وحاضره، ط2، (بيروت 1934)، ص ص 124 -125

[59] - احمد فهمي، تقرير احمد فهمي " مباحث عن ثروة البلاد واقتصادياتها وحالة السكان الروحية والاجتماعية، (بغداد 1926) ص ص 47 - 48

ندرك إن فكرة تقليد رئيس العشيرة لأحد الزعماء الروحانيين يعني في الوقت نفسه سحب جميع أفراد العشيرة نحو تقليده واعتبار توجيهاته وفتاويه ملزمة لهم شيوخا وإفرادا وبخاصة أيام الشدائد والأزمات ومن ذلك مثلا إعلان الجهاد إلى جانب الدولة العثمانية التي تحمل لواء الإسلام هكذا قضي الأمر ويبدو إن الدولة العثمانية كانت تدرك ذلك لذلك اتجهت السلطة العثمانية في العراق إلى العشائر تطلب مساعدتها لمنع الجيوش البريطانية من احتلال العراق مشيرة إن الصراع القائم مع أعدائها هو جهاد في سبيل الله واستخدمت مختلف الوسائل في كسب العشائر منها منح الأوسمة لبعض شيوخ العشائر مثل زبون الفيصل من قبائل بني لام ، وكذلك صدور العفو عن شيوخ آخرين لهم مشاكل مع السلطات العثمانية مثل شيوخ الخز اعل [60] . وتماشيا مع الإجراءات العثمانية في التهيؤ لإدارة الحرب العالمية تم إرسال الوفود إلى نواحي البلاد بقصد التعبئة للحرب والاهم من ذلك كله هو إرسال العديد من الشخصيات ومن بينهم الشيخ حميد الكليدار سادن الإمامين الجوادين إلى المدن المقدسة لحث العلماء والمجتهدين فيها على إصدار فتاوى الجهاد نظرا للتأثير الأكبر الذي تحدثه هذه الفتاوى على عموم السكان ولاسيما المقلدين للمرجعية الشيعية [61] . ولكن السؤال الذي يتبادر للذهن في ضوء الواقع الذي عكسته الحرب وهو مدى استجابة إفرادها ؟ وللإجابة على ذلك نقول إن السلطة العثمانية دعت العشائر للقتال ولكن الاستجابة كانت ضعيفة جدا إن لم نقل معدومة وكما أشار ذلك القنصل الأمريكي في بغداد " .... إن السلطات المحلية أرسلت تصميما للقبائل القاطنة بين بغداد والبصرة تدعوها لحمل السلاح ولكن تلك القبائل لم تستجب للدعوة "[62] ويبدو إن سبب ذلك راجع إلى الأثر السلبي للسياسة العثمانية تجاه العشائر في الماضي. إذن لابد من اللجوء إلى العلماء لصدور الفتوجدا.دية من المرجعية الدينية والتي نصت على ضرورة مشاركة الحكومة المسلمة لدفع الكفار عن بلاد الإسلام وحماية الثغور الإسلامية [63] . عندها كانت الاستجابة من قبل العشائر كبيرة جدا [64] .

لقد تألفت قوات من العشائر تحت قيادة عشائرية ودينية عرفت باسم قيادة المجاهدين وكانت تتشكل بالدرجة الأساس من عشائر الفرات الأوسط والمنفك ، ومن الزعماء العشائريين الذين برزوا في حركة الجهاد عجيمي السعدون والسيد نور الياسري وعبدالواحد سكر والسيد علوان الياسري والسيد هادي المكوطر والسيد محسن أبو طبيخ والشيخ شعلان أبو الجون [65] . أما قيادة العلماء والسادة ومنهم العلامة عبدا لرضا الشيخ راضي والسيد هادي المكوطر والعلامة محمد سعيد الحبوبي والشيخ عبدالكريم الجزائري والسيد عبدا لرزاق الحلو والشيخ جواد صاحب الجواهر والشيخ أبو الحسن الأصفهاني ، ولابد من القول إن حركة الجهاد ضد القوات البريطانية لأتدل على إن العشائر مقتنعة بالحرب إلى جانب السلطة

[60] - ستيفن همسلي لونكريك ، العراق الحديث 1900 - 1950 ، ج1 ، ط1 ، ترجمة سليم طه التكريتي ، (بغداد 1988) ، ص 50
[6161] -عبدا لشهيد الياسري ، البطولة في ثورة العشرين ، (النجف 1966) ، ص 68
[62] - خالد السعد ون ، الأوضاع القبلية في البصرة 1908 – 1918 ، (الكويت 1988) ، ص ص 240 - 244
[63] - الياسري – المصدر السابق ، ص 69
[64] - جريدة الزوراء ، العدد 2493 ، 7 تشرين الثاني 1914
[65] - الياسري ، المصدر السابق ، ص ص 72 – 75

العثمانية ولا على عمق اقتناعهم بالقضية بقدر ما تسجل استجابة لدعوة العلماء واجبي الطاعة بالنسبة لهم لان معظمهم سبق ورفع راية العصيان ضد السلطة العثمانية وكما قال بدر الرميض زعيم بني مالك لأحمد بك أوراق القائد التركي " .... لقد خنتم الإسلام كما يتجلى من معاملتكم للعرب ولولا فتوى علمائنا لما وقفنا إلى جانبكم..." [66] .

إن الوقوف والجهاد مع السلطات العثمانية اثر سلبيا على العلاقة مابين ما بين العشائر والإدارة البريطانية وفيما سنجد برسي كوكس يصف منطقة النجف ودور علماء الدين فيها بأنها قذى في عين السياسة البريطانية بسبب مركزها الديني الواسع وتاثير علمائها على جماهير الشعب ، لاسيما وهي اول مدينة عراقية فكرت بالتخلص من السيطرة البريطانية [67] . وفي ذات السياق أوضحت المس بيل دور بعض علماء الدين المناوىء لبريطانيا وبخاصة السيد محمد الصدر العالم الديني لمدينة الكاظمية[68] . لذلك حاولت السلطات البريطانية منطقة الفرات الاوسط بأي صورة كانت وكسبها أم أمكن من خلال عدد من رؤساء العشائر وبعض الزعماء الروحانيين وفي هذا الجانب يذكر برسي كوكس " .... لقد اتفقت مع شيوخ كربلاء والنجف عندما وفدوا لي من بغداد وأعطيتهم التعليمات اللازمة بان يتولوا إدارة المدينتين هم بأنفسهم وكنت أرسل لهم بعض المنح المالية الشهرية وذلك لكي أساعدهم في تقوية مركزهم وإعطائهم شيئا من الصفة الحكومية الرسمية "[69] . يبدو كوكس قدر حالة هذه المدن التي كانت تحكم نفسها منذ عام 1915 عندما أطاحت بالسلطة العثمانية . ظل التخطيط لبعض الإحداث السياسية يتم في المدن المقدسة وبتأثير الزعامة الروحية وأصبحت من المراكز الرئيسية للشعور الوطني ولا يقتصر تأثيره على منطقة محدده [70] . مما تقدم يبدو إن مرد ذلك راجع إلى إن المراكز الدينية المقدسة هي مراكز فكرية وان التهيئة لثورة عام 1920 جاء بتأثير الزعامة الروحية للمدن المقدسة الأكثر وعيا بدلالات الواقع السياسي والأكثر استجابة للتظلم الذي يصيب المناطق المختلفة والمتأثرة بتوجيهات المرجعية لقد تضافرت الجهود بين زعماء المرجعية الدينية ومقلديهم من السادة والشيوخ وتمت الاجتماعات المشتركة بينهم للمناقشة في مستقبل العراق ومن ابرز الاجتماعات التي تمت في منزل المجتهد الأكبر للفترة من 4 –5 أيار 1920 وحضره كبار السادة والعلماء ويضمنهم عبدا لكريم الجزائري والسيد نور السيد عزيز والسيد علوان الياسري والشيخ شعلان أبو الجون والشيخ غثيث الحرجان والشيخ عبدالواحد سكر وجعفر أبو ألتمن ويبدو إن الاجتماع تمخض على الاتفاق للقيام بوجه الانكليز والذي يبلور فيما بعد بثورة عام 1920 [71] لقد كتب عن الثورة التي كلفت البريطانيين 906 قتيل و2476 مفقود و 601 جريح وتكبد دافع الضريبة الأخير

[66] - فريق المزهر الفرعون ، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة 1920 ونتائجها ، ج1 ، (بغداد 1952) ، ص ص 36 -37
[67] - عبدالرزاق الحسني ، الثورة العراقية الكبرى ، ط1 ، (بغداد 1992) ، ص 7
[68] - المس بيل ، العراق في رسائل المس بيل ، ترجمة وتعليق جعفر الخياط ، (بغداد 1977) ، ص 321
[69] - برسي كوكس وهنري دوبس ، صفحة من تاريخ العراق الحديث من سنة 1914 – 1926 تكوين الحكم الوطني في العراق مذكرتان خطيرتان ، تعريب بشير فيرجو ، ط1 ، (بغداد 1951) ، ص ص 17- 25
[70] - عبدالرحمن البزاز ، محاضرات عن العراق من الاحتلال حتى الاستقلال ، ط1 ن (القاهرة 1960) ، ص 43
[71] - المصدر نفسه ، ص 430

للمطالبة من حكومته الانسحاب من العراق الشيء الكثير لذلك سوف لانتدخل بالتفاصيل والإحداث القتالية وسنكتفي بالوقوف عند طبيعة هذا الحدث التي لازالت مفتوحة وقابلة للنقاش [72] . يبدو إن الشرارة التي انطلقت الثورة بسببها والمتمثلة باعتقال الشيخ شعلان أبو الجو والذي يشكل بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير كانت مدفوعه بعوامل سياسية كما اكد ذلك الحاكم السياسي البريطاني في الثاني من تموز بقوله قامت العشائر المقيمة قرب الرميثة والتي كانت منذ بعض الوقت هدفا لنشاط عناصر من النجف تحرضها على العصيان قامت بمهاجمة مبنى الحكومة في الرميثة وقتلت حارسا عربيا وأطلقت سراح احد الشيوخ بالقوة والذي كان قد سجن بموافقتي في اليوم السابق لتحريضه الناس على العصيان [73] . الملاحظ إن الشرارة انطلقت قبل صدور أي فتوى بل كان شيوخ الشامية والنجف يبحثون في الوضع الداخلي ووصلتهم أنباء الرميثة وما جرى فيها وانقسمت أرائهم بين الساعي لاعطاء المفاوضات السلمية واعطائها مزيد من الوقت للحصول على النتائج المطلوبه ومن مثلة وجهة النظر المذكورة شيوخ الخزاعل وتتمثل بالشيخ سلمان محمد العبيطان وعشائر الفتلة ممثلة بالشيخ مزهر الفرعون وعشيرة بني حسن ممثلة بعلوان الحاج سعدون [74] . إما الشيوخ الاقل شئنا من الناحية الطبقية والامكانيات المادية ومثل عشائر الفتلة في هذه الفئة عبدالواحد سكر وفي عشائر بني حسن مثلهم عمران الحاج سعدون وغيرهم من العشائر في المناطق المختلفة إضافة إليهم كانت هناك عشائر السادة كانت لديهم أيضا نزعة عنيفة وجهادية في القيام بعمل عنيف ضد الإدارة البريطانية مثل سادة ال مكوطر وسيد نور وال سيد نور الياسري وال زوين ومارسه هؤلاء مختلف الضغوط على عشائر الشامية والنجف في سبيل دفعهم للمقاومة [75] . إلا إن موقف علماء الدين الأعلام في النجف والذين يمثلون الحوزة العلمية كانوا مترددين ومضطربين ففي الوقت الذي انطلقت الأحداث في الرميثة ابرق الأصفهاني في 25 حزيران برقية إلى ولسن محتجا على الاعتقال ومؤكدا له إن الحركة سلمية وان عمل الإدارة البريطانية سيزيد الوضع سوءا وطلب من ولسن التدخل المباشر لتهدئة الوضع إلا إن جواب ولسن على برقية الأصفهاني الدفاع على عمل منفذي الاعتقال ولم يعط له أي إشارة بالاستجابة إلى طلبه وفي ذات الوقت كتب الأصفهاني إلى زعماء الشامية والرميثة في 8 تموز أكد لهم فيها إن المصادمات تتنافى مع المصلحة العامة وطلب منهم وقف الأعمال الحربية وإتباع الطرق السلمية وسعى الأصفهاني في رسالته الثانية التي بعثها إلى ولسن أكد فيها الصداقة مع الحكومة البريطانية العظمى وبنفس الوقت دافع عن زعماء الرميثة وطلب من ولسن تخفيف أجراءته ، وفي توجه أخر من اجل احتواء الأزمة أرسل السيد محمد تقي الشيرازي هبة الدين محمد علي الشهرستاني ومحمد كاظم الخرساني الذهاب إلى بغداد واللقاء مع ولسن لإيضاح طابع الحركة السلمي وحثه على الاعتدال إلا إنهما لم يتمكنا من مقابلته وعادا إلى كربلاء وعندها اصدر الشيرازي

[72] - وميض جمال عمر نظمي ، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية ، ص 378
[73] - المصدر نفسه ،
[74] - المصدر نفسه ، ص 379
[75] - المصدر نفسه ، ص 379

فتوى سمح فيها للعراقيين باستعمال القوة الدفاعية ضد الحكومة ويبدو إن الشيرازي اعتقد بان الحاكم العسكري في العراق يتهرب من مقابلة الوفد المرسل [76] .

مما تقدم يبدو لنا إن المركز الدينية المقدسة مارست دورا فكريا وساهمت بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في التهيئة لثورة العشرين بتأثير زعاماتها الروحية والتي تعد الأكثر وعيا واستجابة للتظلم الذي يصيبها وإتباعها وأكد هذه الفكرة الميجر ديجبرن معاون مستشار وزارة الداخلية بقوله " ... إن المشتغلين بالحركة كانوا يعارضون الحكم البريطاني لا لأنه لم يكن عربيا ولا إسلاميا فحسب بل لان الإدارة البريطانية صارمة وقمعيه في التدقيق وخاصة في جمع الضرائب. وفي ذات الجانب أكد الميجر نوبري الحاكم السياسي للشامية والنجف بقوله " .... انه اجتمع في كانون الأول عام 1918 مع عبدا لكريم الجزائري ومحمد جواد صاحب الجواهر والشيخ عبدالرضا والسيد نور الياسري والسيد محسن أبو طبيخ والسيد علوان الياسري وعبدالواحد سكر ومحمد العبيطان إلا إن الاجتماع لم يود إلى نتيجة لذلك كتبوا إلى الإمام محمد تقي الشيرازي يعلمونه بالحالة واستعدادهم لاستعمال القوة من اجل نيل حقوقهم ثم استشارته حول جواز استعمال السلاح في وجه السلطة المحتلة " وكان رد الإمام الشيرازي بمثابة تأييد استعمال القوة عندما قال " .... إن مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين ويجب عليهم ضمن مطالبتهم رعاية السلم والأمن ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الانكليز من قبول مطالبتهم ..." [77] . في ضوء ما تقدم يمكن القول إن تأثير الزعامة الروحية كبير على مقلديها وشكلت إحدى القوى الفعالة في انطلاقة حركة المعارضة والأساس في كثير من الاضطرابات اللاحقة [78]

الحوزة العلمية النجفيه والمعاهدات العراقية البريطانية

لقد تلمسنا موقف الحوزة العلمية من خلال موقف رجال الدين في النجف وغيرها من العلماء الإعلام والتي توجت بردت الفعل العنيف والمتمثلة بثورة العشرين والتي من الممكن القول عنها بأنها ذروة النشاط السياسي الشيعي حتى اقتنع برسي كوكس بان رجال الدين الشيعة هم من ابرز العناصر التي تقوم بتحريض الأحزاب في إعمالها المعادية لبريطانيا في العراق الأمر الذي دفع الإدارة البريطانية إلى تنفيذ عقوبات ضد بعض العلماء وقامت بنفيهم إلى خارج العراق [79] .

تعد معاهدة عام 1922 المعاهدة العراقية البريطانية الأولى وقد تم المصادقة عليها من قبل مجلس الوزراء إلا إنها ظلت غير فاعلة ما لم يصادق عليها المجلس التأسيسي المنوي عقده في الأيام القادمة وهنا انتبهت الحركة الوطنية إلى أهمية استغلال هذه المحطة من اجل استغلال هذه الفرصة لتعديل أو إلغاء المعاهدة لذلك قام الوطنيون بالدعوة إلى مقاطعة انتخابات المجلس التأسيسي وهنا اتصلوا بالعلماء وعلى

[76] - المصدر نفسه ، ص 380
[77] - الياسري ، المصدر السابق ، ص 157
[78] - عبدا لله فهد ألنفيسي، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث، (بلا 1976)، ص 62
[79] - فاروق صالح العمر، المعاهدات العراقية البريطانية وأثرها في السياسة الداخلية 1922 – 1948، منشورات وزارة الإعلام، سلسلة دراسات 116، (بغداد 1977) ص 81

رأسهم السيد مهدي ألخالصي اثر صدور الأمر بإقامة الانتخابات [80] . في ضوء ما تقدم أصدرت المراجع الدينية في 9 تشرين الثاني عام 1922 الفتاوى بمقاطعة الانتخابات وجاء فيها " .... لايجوز الانتخابات ومن انتخب خرج من ربقة الإسلام لان الانتخابات بنيت على أساس مخالف لرغائب الأمة العراقية بوساطة السلطة العسكرية والمعتمد الذي أسسها بالقهر والقوة وغلق الأحزاب الموافقة لغائب الأمة وشتت جمعها فمن انتخب بعدما علم بحرمة الانتخاب عليه زوجته وزيارته ليجوزا ...." ووقعت الفتوى من قبل أبو الأصفهاني وحسين الغوري ومحمد مهدي الصدر والسيد محمد مهدي ألخالصي ومحمد مهدي ألكاظمي وأسد الله سيدحيدر والشيخ ضياء ألجواهري وأسد الله محمد مهدي الموسوي [81] .

لقد كان للفتاوى التي أصدرها علماء الدين تأثير سلبي على سير الانتخابات وفي ضوئها استقالت بعض الهيئات الانتخابية والتي شكلت في كربلاء والحلة والكوفة وتوقفت الانتخابات في مناطق مختلفة من العراق [82] . يبدو إن العلماء طالبوا بالمقاطعة بتأثير المحرضين والذين تأثروا بعدم تحقيق طلباتهم التي كانوا يسعون إلى تحقيقها وقد تكون مصالحهم قد تأثرت كثيرا ولم يحصلوا على ما يبغون إليه لذلك طالبوا بالمقاطعة ولكن باستخدام واسطة وهم علماء الدين لاقتناعهم بالتأثير الكبير لفتاوى العلماء . أما الموقف من المعاهدات اللاحقة فقد وقفت المعارضة ضد معاهدة 1926 والتي اعتبرت امتداد للمعاهدة السابقة وكما أفاد بذلك رئيس الوزراء البريطاني لذلك شكل تحالف ضم الزعماء العشائريين ومنهم عبدالواحد سكر ورايح العطية ومرزوق العواد واعد التحالف تقريرا أكدوا فيه إن المعاهدة الحالية وهي معاهدة 1926 قد فرضت بالقوة وان العشائر والزعامات الروحية ضد مشروع المعاهدة [83] وتكرر رفض المعاهدة لعام 1927 حيث عقد اجتماع في النجف من خلال تأثير حزب النهضة وتم افتتاح فروع متعدده للحزب في مناطق جديدة مستغلين الاحتفال بالمولد النبوي الشريف في النجف عقد اجتماع في 12 أيلول 1927 واتخذوا في الاجتماع قرارات هامة ومنها إن تكون حصة الشيعة في كل وزارة هي النصف وكذلك المساواة في التعينات [84] . إلا إن الحكومة كانت جادة في التصدي والمواجهة ومحاولة امتصاص نقمة المتذمرين ومن ابرز إجراءاتها في المناطق المتأثرة بتوجيهات المرجعية هي إناطة متصرفية لواء الديوانية إلى جميل المدفعي وتزويدة بتعليمات وتوجيهات من الملك لبذل جهده من اجل إن يقنع رؤساء عشائر الديوانية المعترضين على المعاهدة والاتفاقيات الملحقة وذلك بإعطائهم بعض الوعود منها حل بعض القضايا المهمة والمتعلقة بالأراضي لصالحهم [85] . أما المعاهدة العراقية البريطانية لعام 1930 والتي كانت تروج وسوف ترتبط بحل المجلس النيابي القديم والمباشرة بإجراء انتخابات المجلس الجديد لأجل المصادقة على

[80] - محمد مظفر الادهمي ، المجلس التأسيسي العراقي ، ج1 ، ط1 ، دار الشؤون الثقافية (بغداد 1989) ، ص144
[81] - د ك و / ملفات البلاط الملكي، ملفه وزارة الداخلية رقما 2618، و 6 ص 8 موضوع فتوى العلماء بمقاطعة الانتخابات
[82] - ايرلاند ، المصدر السابق ، ص 307
[83] - حنا بطالعمر،لمصدر السابق ، ص 126 ؛ طارق يونس السراج ، جميل المدفعي ودوره في السياسة العراقية 1890 – 1958 ، رسالة ماجستير غير المنشورة ، كلية الاداب قسم التاريخ (جامعة بغداد 1991) ص، 59
[84] - فاروق العمر ، المصدر السابق ، ص 280
[85] - المصدر نفسه ، ص 59

المعاهدة الجديدة ويؤشر موقفا سياسيا أخر للعشائر ومن يدعمهم من الزعامات الروحية لذلك دعت إلى مقاطعة الانتخابات المقترحة والتي دعت إليها وزارة نوري السعيد الأولى وأرسلت بيانات المطاعة إلى جريدة الزمان [86] . في ضوء ذلك ألصقت عدة إعلانات بخصوص المقاطعة في مناطق مختلفة واتفق بعض الزعامات العشائرية ضد المعاهدة والمجلس النيابي المقترح لذلك نظموا احتجاجا عنونوه إلى الصحف في بغداد وقد ضمنوه رأيهم بالمعاهدة والمجلس النيابي الجديد [87] .

الزعامات الروحية النجفية وتأثيراتها على البناء السياسي الداخلي

نظرا للمكانة الدينية السامية التي تتمتع بها المناطق المقدسة في كربلاء والنجف في نفوس أهالي منطقة الفرات الأوسط وفي والمناطق التي تتوجه وتتأثر بتوجيهات المرجعية الدينية لذلك كان تأثير زعامتها الروحية كبير الأمر الذي جعل السلطة تخشى هذا التأثير وقد فكرت كثيرا في عزل المنطقة عن تأثير الزعامة الروحية استتبابا للأمن ولكن هذا الأمر يبدو صعبا في التحقق وذلك للارتباط ألصميمي بين هذه الزعامة ورؤساء منطقة الفرات الأوسط والتي تعد من المناطق القريبة والمتأثرة بصورة مباشرة بالمرجعية الدينية إضافة إلى تأثيراتها في المناطق البعيدة ، بل ونستطيع القول إن معظم ما كان يحدث في مدن ونواح العراق والتي كان تسير بتوجيهات المرجعية يأتي بتأثير الزعامات الروحية والتي تعد توجيهاتها إلى السائرين بهداها واجب التنفيذ لذلك لاحظنا إن معظم الحكومات المتعاقبة في العراق كانت قلقة إزاء حركات بعض الشخصيات السياسية أو الاجتماعية ولاسيما المعروفين بمناوئتهم للسلطة وكانت الأخيرة جادة بمراقبتهم بصورة دقيقة إذا كانت حريصة على استقرار الوضع الأمني الداخلي وتحديدا إذا كانت حركاتهم باتجاه المناطق المقدسة كربلاء والنجف وكما أوضحت ذلك برقية وزارة الداخلية في وزارة جعفر العسكري الثانية إلى متصرفية لواء كربلاء والتي تضمنت ما يلي " ... ذهب محمد رضا الشبيبي وباقر الشبيبي إلى كربلاء وسيزوران النجف بمهمة راقبوا حركاتهما واعلمونا بما يقومان به مع إرسال الأدلة التي يمكنكم الحصول عليها كالمضابط أو غير ذلك ... " [88] . يبد إن الوزارة كانت لديها عيون تراقب الشخصيات التي تتوقع منها خلق الأزمات بالتنسيق مع الزعامات الروحية فهي جادة بمراقبة كلا الطرفين وهما الأول كيفية إبعاد احدهما عن الأخر لان اقترابهما وتنسيق العمل يعني مزيد من القلق للسلطة الحاكمة والأكثر من ذلك إن السلطة كانت متوقعة أحداث قد تقع بعد إن تتم هذه الزيارة لذلك كان جواب المتصرف على برقية الوزارة وكأنه استطاع إن يحقق الأهداف التي كانت الوزارة جادة بتحقيقها إلا وهي تطويق الأحداث المرتقبة فقال في جوابه " ... زرت العالمين الشهيرين في النجف أبو الحسن الأصفهاني ولميرزا حسين النائيين وشعرت بان حساسيتهما نحوي جيدة ولا شك إن زيارتي لهما مما تعود بالنفع

[86] - جريدة الزمان، العدد، 253، 16 أيلول 1930

[87] - و د ، تقرير متصرفية لواء الديوانية إلى وزارة الداخلية رقم 51 في 13 تشرين الثاني / 1930 ، موضوع الاحتجاجات على المعاهدة والمجلس النيابي الجديد

[88] - و د برقية من وزارة الداخلية رقم 12613 في 25 اب 1927 إلى متصرفية لواء كربلاء ، موضوع مراقبة

الصميم على المصلحة العامة ..."[89] . إن هذا العمل يوضح بان السلطة كانت تلتجئ إلى العلماء في النجف من اجل تهدئة الأحوال عند انطلاقها وامتصاصها إذا كانت لم تنطلق بعد ومع ذلك فان الوضع في المناطق القريبة من المناطق المقدسة كانت محط أنظار علماء المرجعية الدينية لذلك وجه الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء كتابا إلى بعض رؤساء عشائر الديوانية للاجتماع به في النجف جاء فيه " ... يلزم حضوركم لكم فيها رضا وللأمة فيها صلاح .. " [90] . وأرسلت نسخ من الكتاب المذكور إلى بعض الشخصيات ومنها مظهر الحاج صكب وعبادي الحسين وشعلان ابو الجون وحمود البراك ، ويبدو إن الاجتماع الذي دعا إليه الشيخ هدفه التداول في الشؤون العامة إلا إن التوقعات ترجح إجراءات عملية ضد الحكومة القائمة ويمكن استنتاج ذلك من كتاب متصرف لواء الديوانية إلى قائمقام النجف والذي أكد فيه على متابعة ما يتمخض عن الاجتماع المذكور [91] .

ظلت الاجتماعات تتكرر في المدن المقدسة وهي تدور حول إسقاط أو تبديل الوزارات القائمة وكما أشار إلى ذلك احد تقارير متصرفية لواء كربلاء والذي يؤشر بان اجتماعا عقد بدار أمين الجرجفجي ضم كل من محمد رضا الشبيبي وباقر الشبيبي والشيخ علي الشرقي والسيد محمد علي بحر العلوم والحاج محسن شلاش وتذاكروا في موضوع اسقاط الوزارة أو تبديلها إلا إنهم لم يتفقوا في اجتماعهم المذكور وتوجهوا بعد ذلك إلى دار الشيخ جواد صاحب الجواهر وتذاكروا في نفس المحور إلا إنهم أيضا لم يتفقوا وانقسوا في ضوئها إلى قسمين الأول كان يسعى بجد إلى إسقاط الوزارة القائمة فورا أما الأخر يحبذ الانتظار والتريث في ذلك [92] . يبدو إن الانقسام المذكور طبيعي ما لم يكن هناك سببا قويا فان رجال العشائر[93] لايمكن إن يوافقوا العلماء العلماء ولكن عندما أعلنت المدن المقدسة الإضراب العام بسبب نشر كتاب العروبة في الميزان لعبدالرزاق الحصان اهتمت السلطات الإدارية بشان تهدئتها فورا لأنها كانت تدرك خطورة إضراب المنطقة المتأثرة بالمرجعية الدينية وحين تفاقم الأمر بسبب الإضراب المذكور التجأت الحكومة إلى العلماء الإعلام في المدن المقدسة لأشركهم في معالجة الموقف وكما جاء ذلك في التقرير الذي أوضح قيام قائمقام النجف بزيارة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء من اجل المساعدة في عدم تطور الموقف نحو الاسو وقد استجاب الشيخ إلى طلب الحكومة وخرج إلى المتظاهرين مخاطبا إياهم من اجل الإخلاد إلى الهدوء فامتثل المتظاهرون لتوجيهاته ، والملفت للنظر إن الحكومة لم تستعمل الأسلحة ضد المتظاهرين وحتى بعد هدوء المنطقة دعت إلى عدم اتخاذ إجراءات قانونية ضد المحرضين وكما جاء ذلك في التقرير الأتي " .. لقد فتحت الأسواق ولم تظهر مظاهرة أو حركة أخرى إننا نرتاي عدم اتخاذ إجراءات قانونية

[89] - و د تقرير من متصرفية لواء كربلاء رقم 101 في 27 أب إلى وزارة الداخلية ، إجابة
[90] - المصدر نفسه
[91] - و د تقرير متصرفية لواء الديوانية رقم 941 في 13 ايلول 1927 إلى قائمقام النجف ، موضوع اجتماع بعض رؤساء العشائر في النجف
[92] - و د تقرير متصرفية لواء كربلاء رقم 20 في 17 أيلول 1927 إلى وزارة الداخلية ، موضوع زيارة
[93] - من زعماء عشائر منطقة الفرات الأوسط الذين وصلوا للمشاركة في الإضراب في المدن المقدسة عبدا لواحد سكر وعبادي الحسين وشعلا نال عطية والحاج عجة الدلي للمزيد ينظر و د تقرير مديرية شرطة كربلاء رقم س/ 85 في 17 حزيران 1933 إلى متصرفية اللواء ، موضوع وصول بعض زعماء عشائر لواء الديوانية إلى النجف

بحق المشتركين في الإضراب ..." [94] . يبدو إن سبب ذلك راجع إلى إن رؤساء المنطقة وعشائرهم مستمرون في زيارة المدن المقدسة بعداد كبيرة ومن الممكن إثارتهم بسهولة من قبل الزعامات الروحية ، وان الإجراء السالف الذكر والمتمثل بعدم اتخاذ إجراءات قانونية بحق المشتركين الذي قام به قائمقام النجف ينم عن إدراك جيد وقد حضيه بمباركة مرؤوسيه وكما أوضحت ذلك احد التقارير والتي أشارت " ... إن قائمقام النجف استطاع إن يطوق الحوادث وينجح في امتصاصها بدون تطور خطير وانه من الضروري إن يسجل لجعفر حمندي قائمقام النجف الشكر لجهوده وسهره في إخماد هذه الفتنه [95].

ظلت اللقاءات العشائرية أو الشخصيات التي تحضى باهتمام عموم المواطنين مثيرة للشك في نظر الحكومة وقد زخرت الوثائق الرسمية بمتابعة هذا الموضوع ففي تقرير لمتصرف لواء الديوانية في هذا الموضوع يقول " ... إن كل من عبدالواحد الحاج سكر والسيد محسن ابو طبيخ وسالم الخيون [96] عقدوا اجتماعا ليلة 14 / 15 حزيران 1934 ، وذلك بدار السيد محسن أبو طبيخ في النجف ودام الاجتماع زهاء الأربع ساعات ، ويبدو إن الغاية إعلامية فقط ويشاع بان اجتماعات أخرى تعقد في النجف وقد أرسل عبدالواحد سكر صهره هادي العبد الحسين إلى منطقة الفيصلية (المشخاب حاليا) لبث هذه الفكرة ويبدو إن القصد هو إشغال السلطة عن الأهداف الرئيسية لان اجتماعات النجف تعني بداية قيام الاضطرابات .." [97]. ويبدو إن الإداريين في المدن المقدسة يدركون أهمية هذه المناطق وتأثيرها في المناطق القريبة منها وفي جميع من يلتزم بتوجيهات المرجعية وقد أشار إلى ذلك متصرف لواء كربلاء في تقريره عندما قال " ... أخذت التقارير تتوالى علينا من قائمقام النجف ومديرية الشرطة فيها حول تحركات الشيخ عبدالواحد سكر والتي تؤكد وصوله إلى النجف يوم 30 كانون الأول 1934 ومقابلته الشيخ عبدالكريم الجزائري وتأكيده للشيخ الجزائري انه مستعد للتضحية في المسائل العامة غير إن ما يبتغيه الرؤساء إسقاط الوزارة وحل المجلس النيابي ، وفي ضوء ذلك قرر الشيخ الجزائري إن عبدالواحد سكر ورفاقه غير محقين في مطالبهم مما دفع عبدالواحد سكر إلى مقابلة شيخ محمد حسين كاشف الغطاء فاظهر الاخيرعطفه على الشيخ عبدالواحد سكر وأيد وجهة نظره المضادة للحكومة ، وبسبب هذه اللقاءات حاول وكيل متصرف كربلاء إفهام القائمين فيها بان الوزارة لأتوافق على هذه اللقاءات [98] . إن نتائج هذا التأيد هو عقد المعارضة اجتماعا في النجف وتسجيل مطالبيهم في وثيقة موقعة من قبلهم وانتخب وفدا منهم ليأخذ هذه المطالب إلى بغداد وينذر الحكومة كي تعمل على تنفيذها خلال مدة معلومة

[94] - و د تقرير متصرفية لواء الديوانية رقم س/ 3008 في 24 حزيران 1933 إلى وزارة الداخلية 1933 ، موضوع اجتماع رؤساء العشائر في النجف

[95] - و د تقرير من متصرفية لواء كربلاء رقم س/ 3139 في 10 حزيران 1933 إلى وزارة الداخلية ن موضوع الإضراب العام

[96] - سالم الخيون رئيس عشيرة بني أسد في الجبايش ويعد من الشخصيات المعارضة للإدارة البريطانية منذ احتلالها للعراق لذلك نفي خارج منطقته عدة مرات للمزيد من التفاصيل ينظر ، د ك و ملفات البلاط الملكي ، ملفه رقم 1157 ، و رقم 34 ، ص ص 95 – 97 ، تقرير خيري الهنداوي

[97] - و د تقرير متصرفية لواء الديوانية رقم س / 282 في 25 حزيران 1934 إلى وزارة الداخلية ، موضوع ماذا يجري ألان بين بعض رؤساء العشائر

[98] - و د تقرير قائمقام أبي صخير رقم 58 في 13 شباط 1935 إلى متصرفية لواء الديوانية ن موضوع أحوال وحركات إل فتلة

وبعكسه سوف يمتنعون عن مراجعة دوائر الحكومة ودفع الضرائب [99] . والملاحظ إن حكومة ياسين الهاشمي أولت موضوع كسب ود الزعامة الروحية أو تحيدها جانبا كبيرا من الأهمية لذا نجدها توفد أنصارها من رؤساء عشائر السادة المتنفذين ومنهم السيد محسن أبو طبيخ وسيد علوان الياسري للقيام بمهام توفيقية ووساطة وكتب محسن أبو طبيخ في هذا الموضوع يقول " .. وصلنا النجف وتلقتنا الجماهير هاتفة بسقوط الوزارة الهاشمية وقيل إن الشيخ محمد حسين أل كاشف الغطاء لايرضى عن هذه الوزارة ثم جاءنا رسول يدعونا للحضور عند الشيخ وبعد إن وصلنا عنده انهال علينا بالتقريع وقال كيف تشكل الوزارة ولا يؤخذ رأينا فيها فسألناه عما يرضيه فناب عنه في الجواب احد الوجهاء الحاضرين فقال " ... إن الشيخ لايرضى حتى تسقط حكومة بغداد وتشكل حكومة بمنطقة الفرات وعاصمتها الكوفة إلا إن أبو طبيخ أجاب على ذلك بقوله إن هذا لايتم إلا في أمور احدها عليك مخاطبا المتكلم وهو بذل المال أما الثاني يقع على الشيخ وذلك بإصدار فتوى بتأييد جميع العلماء أما الأمر الثالث يقع علينا وهو الاستماته في الحرب وخرجنا وكانت الجماهير لازالت تهتف بسقوط الوزارة القائمة [100] . مما تقدم يبدو لنا اثر الزعامة الروحية للمدن المقدسة كبير باعتباره عاملا من العوامل المؤثرة في بلورة وجهة النظر المعارضة للحكومة من السائرين في منهج المرجعية الدينية لتحقيق الإصلاح السياسي .

وبعد حدوث الأزمة بين الحكومة العراقية والحكومة البريطانية في عام 1941 في المدة من آذار وحتى مايس من ذات العام والتي انتهت بالصدام العسكري بين القوات العراقية والبريطانية والمتواجدة في قاعدة الحبانية الجوية وبسبب ذلك الصدام وجهه رئيس الوزراء العراقي رشيد عالي الكيلاني نداءا إلى رؤساء العشائر والقوى الأخرى لاسناد الجيش العراقي في صدامه مع القوات البريطانية وقد ترك النداء الذي أعلنه الكيلاني تأثيرا كبيرا في معظم النفوس إلا انه لم يكن كافيا ويحقق هدفه لولا الفتاوى[101] التي أصدرتها المرجعية الدينية في النجف والتي تركت تأثيرا فاعلا لكل من يعد المرجعية هي هدفه والمحرك الأساسي له [102] .

مما تقدم يبدو لنا إن الفارق في التسليح وفي العدد بين القوات العراقية والبريطانية ساهم في استقرار الموقف لصالح القوات البريطانية وهرب رئيس الوزارة وأعضاء حكومته بالرغم من ظهور بعض المنشورات الملصقة على الجدران والتي تشير إلى صمود رجال الحركة العراق وحتمية انتصارها وكما إشارة إلى هذه المنشورات شرطة النجف وكان المنشور يحمل عنوان بيان رسمي إلى الشعب العراقي الكريم ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ها قد دقت ساعة احتضار بريطانيا وان وقت

[99] - و د ن تقرير مديرية شرطة لواء الديوانية رقم 252 في 13 شباط 1935 إلى متصرفية لواء الديوانية ، موضوع تقارير عامة

[100] - أبو طبيخ ، المصدر السابق ، ص ص 71 -74

[101] - لقد اصدر الإمام أية الله السيد أبو الحسن فتوى بمناسبة الحرب العراقية البريطانية وموجهة إلى كل المسلمين العراقيين بصورة خاصة جاء فيها إن الواجب الديني يقضي على كل مسلم يحفظ بيضة بحفظ بيضة الإسلام وبلاد المسلمين بقدر استطاعته وهذه البلاد العراقية المشتملة على مشاهدالائمة ومعاهد الدين يجب محافظتها من تسلط الكافر والمدافعة عن نواميسها الدينية فالي هذا أحثكم وادعوكم وفقنا الله وإياكم لخدمة الإسلام وكذلك اصدر الشيخ محمد حسين إل كاشف الغطاء والشيخ عبدا لكريم الجزائري والسيد هبة الدين الحسيني . وللمزيد ينظر الحسني ، الإسرار الخفية في حركة السنة 1941 التحررية ، ط5 ، (بيروت 1982) ص ص 345 – 350

[102] - المصدر نفسه ، ص ص 346

تصفية حسابنا معها عن قريب إنشاء الله نعود من الموصل إلى بغداد ونقضي على أذناب الانكليز وعبيد اليهود وكان المنشور موقع باسم رشيد عالي الكيلاني [103] .

الحوزة العلمية النجفية والأحداث القومية والوطنية

العدوان الثلاثي على مصر عام 1956

وصفت الأعمال التي نفذتها القيادة المصرية بأنها من مسوغات العدوان ابتدءا من صفقة الأسلحة إلى تأميم القناة في ضوء ذلك أضحت النية المبيتة لإسقاط حكم جمال عبدا لناصر وأجبت التنفيذ وفي ضوء ذلك ذكر زكريا العادل الملحق العسكري المصري في اقره بقوله "... لقد وصلتنا معلومات خلال شهر تموز وآب عام 1956 عن وجود حشود عسكرية في قبرص وما يؤكد ذلك إن الأتراك قد الغوا الإجازات في القوات المسلحة التركية وأشار العادل كذلك انه علم في 5 تشرين الأول من مسئول تركي في حفلة للسفارة الايطالية إن البريطانيين والفرنسيين سوف يقومون بالهجوم على مصر في منتصف تشرين الثاني وأكد ذات الفكرة ثروت عكاشة مساعد رئيس الجمهورية المصرية [104] . مما يبدو لنا إن فكرة العدوان على مصر وقيادتها هو الحل الوحيد من وجهة نظر الدول الغربية وهناك بعض القرائن التي تؤكد ذلك فالإجراءات التي اتخذها انطوني إيدن رئيس الحكومة البريطانية بإعداد خطة عسكرية لانتزاع القناة من مصر إلا تأكيد على إن العدوان قادم وكذلك تأكيد الأخير في تصريح أخر " ... إننا إذا لم نقض على عبدا لناصر اليوم فإننا لم نقض عليه أبدا وان جمال عبدا لناصر اخطر على مصالحنا من روسيا " . اسند فكرة إيدن كذلك رئيس وزراء فرنسا موليه بقوله " ... ضرورة القضاء على عبدا لناصر ولو سقط عبدا لناصر سوف تنتهي الحرب الجزائرية في 24 ساعة لأنه إذا ضربنا الدينمو توقف المحرك [105] . وهي إشارة بان الرئيس جمال عبدا لناصر يدعم حركات التحرر الوطني في شمال إفريقيا ومناطق أخرى من العالم وتحالف القوى الغربية لم يكن بدافع تأميم القناة بل لعوامل عديدة أخرى . أما الكيان الصهيوني اخذ يشعر ويؤكد بأهمية ضرب مصر وكما أشار بن غوريون بقوله "... إن (إسرائيل) تدرك إن مصر عدوتها الكبيرة في المنطقة [106].

لقد اكتملت الخطة المعدة للعدوان وباشر الكيان الصهيوني بالتنفيذ عندما دخلت قواته إلى شبه جزيرة سيناء متجهة نحو القناة وذلك في 29 تشرين الأول عام 1956 ونتيجة للأعمال العسكرية قدمت كل بريطانيا وفرنسا إنذارا ويعد مكملا للخطة المتفق عليها ورد جمال عبدا لناصر على الإنذار بصوت المقتدر بقوله " .. نحن قادرون على الدفاع عن قناة السويس .." [107] . إلا إن الواقع الحقيقي عكس ذلك

[103] - د ك و ، ملفات البلاط الملكي ، ملفه وزارة الداخلية ، ملفه رقم 1220 ، و رقم 44 ،ص 298 ، موضوع منشورات ملصقة في 1 حزيران 1941

[104] - احمد حمروش ، قصة ثورة يوليو " شهود ثورة يوليو ، ج4 ، ط1 (بيروت 1977) ص –ص 163 -164

[105] - روبرت سان جون ، الرئيس ، عرض سعد زغلول نصار ، (القاهرة 1971) ، ص 26

[106] - أمين هويدي ، كيف يفكر زعماء الصهيونية ، (القاهرة 1974) ، ص 155

[107] - عزيز السيد جاسم ، مقتل جمال عبدالناصر ، ط1 ، (بغداد 1985) ، ص ص123 – 124

تماما وكما أشارت التقارير ألوارده من مصر وقت حدوث العدوان بان القوات المصرية لم تكن مهيأة للمعركة وذلك لعدم وجود حالة إنذار في القوات المسلحة المصرية ومعظم ضباط العمليات العسكرية في منازلهم وهذا ما أكده أمين هويدي [108] .

لقد وقف الشعب العراقي موقف المساند إلى الشقيقة مصر إلا إن ما يهمنا موقف الحوزه العلمية النجفية . فقد انطلقت المظاهرات في النجف الاشرف وكربلاء ويبدو إن الأحداث التي انطلقت في المدن المقدسة وصفت بأنها من تدبير الحركات اليسارية وفي ضوء ذلك علق النائب عن منطقة الموصل سامي بشعالم بقوله " ... ليس شيوعيا كل من يعارض سياسة هذه الحكومة وان الحوادث التي وقعت في النجف هي ضد العدوان الغاشم على مصر [109] . وأشارت كذلك تقارير وزارة الداخلية بان المظاهرات التي انطلقت في النجف وكربلاء لم تقتصر على القوى الوطنية اليسارية أو القومية بل شارك فيها علماء الدين وأدت إلى وقوع صدامات [110] .

لقد انطلقت أولى المظاهرات في المدن المقدسة وتحديدا في النجف الاشرف وذلك في بداية تشرين الثاني عام 1956 واستعدت القوى الأمنية في المنطقة لان التقارير السرية الواردة عند وزارة الداخلية تشير بان طلبة متوسطة الخور نق وغيرهم مستعدون للإضراب عن الدروس ويبدو إن القوى الأمنية في المنطقة المذكورة لديها عيون كافية ونشطة أو إن إجراءاتها تحسبيةالا إن الرأي الأول الأقرب للصحة .إن من ابرز المحطات المهمة في انتفاضة النجف الاشرف المساندة لمصر ضد العدوان الثلاثي تلك التي انطلقت يوم 24 تشرين الثاني عام 1956 وقادها الطلبة الطلبة في المدارس واصطدم المتضاهرين مع إفراد الشرطة واخذوا يرمون الشرطة بالحجارة والقناني الفارغة ويطلقون عليهم النيران من السطوح ، ونتيجة الاصطدام المذكورة بين الطلبة والمتظاهرين والاجهزه الأمنية أدت إلى استشهاد اثنين من الطلبة احدهم من أسرة الدجيلي والأخر من بيت الشيخ راضي وتركت الجثث في مكانها وتجمع السكان حول المدرسة التي توجد فيها الجثث بهدف اقتحامها . في ضوء هذه التطورات تدخل متصرف كربلاء وسعى لإيضاح الموقف مشيرا بسياسة الترغيب والترهيب لمشايخ النجف ووجوهها وأهمية العمل على تهدات الشارع ألنجفي ، إلا إن المشايخ رفضوا إعطاء التعهد لعدم مقدرتهم على ضبط الشارع لاسيما وان الشهيدين هم من اسر دينية [111] . إن استمرارية الاضطرابات في منطقة النجف الاشرف دفعت متصرف كربلاء السعي للإقامة في النجف من اجل إن يكون قريب من الأحداث ويكثف اتصالاته بالمشايخ والطلب منهم إلزام أبنائهم بالكف عن المظاهرات وربط المشايخ المعنيين بتعهدات خطية بعدم مساهمة أبنائهم في المظاهرات وإذا حدث عكس ذلك يتعرض الشيخ المتعهد إلى عقوبات قد تكون مالية أو تهجيرية ، وكذلك

[108] - حمروش ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 85
[109] - م م ن ، الاجتماع الاعتيادي لسنة 1956 – 1957 ، محضر الجلسة الثالثة 0بغداد) ص 124
[110] - و د تقرير متصرفية لواء كربلاء إلى وزارة الداخلية تقرير بعنوان الإضرابات والمظاهرات في النجف رقم 572 في 6 / 12 / 1956
[111] - و د تقرير متصرفية لواء كربلاء إلى وزارة الداخلية ، تقرير بعنوان الاضطرابات والمظاهرات في النجف ، تقرير رقم 512 في 9 / 12 / 1956

اتصل بالعلماء الإعلام لحملهم في المساعدة للتقليل من المظاهرات ولا سيما التي يصاحبها العنف . يبدو إن استجابة العلماء لطلب المتصرف لم تكن جادة بل والأكثر من ذلك إن بعض العلماء تدخلوا لإخلاء سبيل بعض المتظاهرين من الذين تم إلقاء القبض عليهم. يبدو لنا مما تقدم إن فاعلية النجف الاشرف هدفت إن لم نقل دفعت بقية المناطق إلى مسايرتها لتمتعها بالقدسية من قبل العراقيين وغيرهم وإشارة للآخرين بالسير بمنهج ما يحدث في النجف الاشرف وبالتالي يحق القول إن انتفاضة النجف ساهمت فيها معظم رجالات الحركة الوطنية العراقية وكان لهم أتباع ضمن قواعدهم في منطقة النجف وكذلك طلبة الحوزة العلمية الذين ساهموا فيها بدلالة التجاء السلطة للعلماء الأعلام لتهدئة الشارع باعتبار إن طالب العلم الحوزوي يأخذ توجيهاته من أستاذه والعلماء الأعلام لهم تأثيراتهم على مقلديهم و إتباعهم كبيرة لاسيما بعد إن وجه السيد محسن الحكيم زعيم الحوزة العلمية في النجف الدعوة للمسلمين لتلاوة الدعاء الجماعي لرفع العدوان عن مصر وذلك بعد أداء الصلاة في الصحن الحيدري الشريف وأمر الحكيم كذلك احد الخطباء ليرتقي المنبر ويتلو دعاء النصر والفرج للمسلمين المجاهدين في مصر وظل الحكيم قبلة المتظاهرين من اجل الحصول على إسنادها وتحقق لهم ما أرادوا عندما ابرق إلى الملك فيصل برقية والتي تضمنت " ... إن إراقة الدماء البريئة بشكلها الوحشي الفظيع في بلدنا المقدس لتدعو إلى القلق والاستنكار العظيمين ومن المؤسف إعفاء الحكومة عن ذلك كله وسلوكها طريق الإرهاب لعموم الطبقات.." [112] .

أما من ابرز الأحداث الوطنية تأتي انتفاضة تشرين الثاني لعام 1952 هي الأبرز في الأحداث الوطنية لاسيما وهي جاءت في إعقاب الانتصار الذي تحقق للشعب المصري في النصر الذي تحقق بأيدي قواتهم المسلحة مما دفع العراقيين السعي لإفهام حكومتهم القائمة بان الأسباب متشابهة في كل من العراق ومصر ومن الممكن أن تكون الأسباب المتشابهة تقود إلى نتائج متشابهة ، وجاءت الأحداث متسرعة وقد استغلت حادث إضراب كلية الصيدلة والكيمياء ليكون بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير لتعلن انطلاقة انتفاضة شعبية شملت مختلف المدن العراقية ورفعت أسباب مختلفة لمشاركتها في الانتفاضة الشعبية وتعد مدينة النجف التي تحتضن الحوزة العلمية فقد شهدت مظاهرات عنيفة شارك فيها الشباب القومي ويبدو إنهم من تنظيمات حزب الاستقلال إلي كانت له فروع في المدن العراقية المختلفة وتم اعتقال عدد من الطلبة من المساهمين في تلك المظاهرات [113] .

لقد دفعت هذه التطورات الجهات الأمنية أخذت الاحتياطات اللازمة خشية من الانفلات ألامني لذلك صدرت الأوامر بإرسال تعزيزات أمنية إضافية إلى القوات المرابطة في النجف ويبدو إن هذه الإجراءات كما أسلفنا هي احترازية بل إن القيادة السياسية كانت تخشى المدن المقدسة أكثر من المدن الأخرى وكما

[112] - وسن سعيد الكر عاوي ، السيد محسن الحكيم " دراسة في دوره السياسي والفكري في العراق " 1946 – 1970 (بغداد 2009) ، ص ص146 – 147

[113] - نضال أبو جواد أمانه ، موقف الفرقة الأولى في لواء الديوانية من التطورات السياسية في العراق من عام 1936 – 1958 ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربي ، جامعة القادسية 2010 ، ص 286

أكد ذلك العقيد عبدا لوهاب الصواف [114] إن الأوامر صدرت إليه من مرؤسية بالحركة إلى النجف ، ألا إن هناك اتصال أخر أكد على أهمية الواجب في النجف عندما اتصل عباس علي غالب [115] قائد الفرقة الأولى به شخصيا مؤكد له إن في النجف اضطرابات وذهابك إلى النجف يحتم القضاء عليها [116] . ويبدو إن التطورات الأمنية السلبية وخشية من استغلال السلطة هذه التطورات لسحق أبناء النجف بأيدي الجيش الذي هو في الأخير من أبناء هذه المناطق لذلك راجع بعض أعيان النجف الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء مطالبين سماحته بتوجيه أهالي النجف بعدم التعرض إلى الجيش وفعلا تعاطف الشيخ واصدر بيان بمثابة الفتوى التي تحرم قتال الجيش لان الجيش هو الأهالي والأخيرين هم الجيش [117]

ثورة 14 تموز 1958

يعد يوم 14 تموز يوم نجاح المحاولة التي نفذت ومعنى ذلك هناك محاولات عديدة سبقت الفساد الذي استشرى في معظم مفاصل الدولة العراقية وهذا ما تظمنه البيان الأول للثورة " ... بعد الاتكال على الله وبمؤازرة المخلصين من أبناء الشعب والقوات الوطنية المسلحة أقدمنا على تحرير الوطن العزيز من سيطرة الطغمة الفاسدة التي نصبها الاستعمار لحكم الشعب والتلاعب بمقدراته في سبيل المنافع الشخصية [118] .

إن إذاعة البيان الأول للثورة معنى ذلك إن الثورة التي تضافرت بها معظم رجال الحركة الوطنية من سياسيين وعسكريين إلا إن المرجعية الدينية لم تكن على علم بالأمر والمتمثلة بقيادة السيد محسن الحكيم باعتباره زعيم الحوزة الدينية النجفية [119] . يبدو إن القيادة السياسية للثورة سعت بالتحرك باتجاه المرجعية من اجل كسبها إلى جانبها وقد تم ذلك عندما عين الزعيم عبدالكريم قاسم فؤاد عارف [120] متصرفا للواء

[114] - هو العقيد الركن عبدا لوهاب بن عبدا لملك بن طه بن عبدا لرزاق بن محمد بن علي بن احمد الصواف الكبيسي ولد عام 1916 ثم دخل الكلية العسكرية ببغداد عام 1936 – 1937 ثم تقلد عدة مناصب وشارك مع جماعة الضباط الأحرار في الإطاحة بالنظام الملكي ، إلا انه انتفض في ثورة الموصل عام 1959 والتي سميت فيما بعد بثورة الشواف وتعد ثورة قومية وحدوية خطط لها مع رفاقه من الضباط من بينهم ناظم الطبقجلي ورفعت الحاج سري ، إلا إن نتيجة ثورته فشلت وقتل فيها ولم يعرف إلى ألان مكان قبره . للمزيد ينظر الشبكة الدولية للمعلومات ar : Wikipia .orglwik

[115] - ولد عباس علي غالب في مدينة بغداد سنة 1908 أكمل دراسته الابتدائية ثم حصل على الشهادات المدرسية الأخرى ثم دخل الكلية العسكرية بتاريخ أيلول عام 1926 تدرج في المناصب والرتب العسكرية حتى وصل إلى رتبة أمير لواء ركن وذلك في أيلول عام 1954 ، ومن المناصب التي شغلها قائدا للفرقة الأولى للمدة من تشرين الثاني عام 1951 وحتى تشرين الثاني من عام 1954 ثم شغل منصب مدير الشرطة العام وكالة وذلك في أيلول من عام 1956 إلا انه بعد قيام ثورة 14 تموز عام 1958 أحيل على التقاعد ثم قدم للمحاكمة في محكمة الشعب التي خصصت لمحاكمة رجال العهد السابق وذلك بتهمة الأوامر التي أصدرها عندما كان قائدا للفرقة الأولى وحدثت انتفاضة تشرين الثاني عام 1952 واصدر الأوامر إلى أمر القطعات العسكرية في النجف الاشرف وتضمن نص الأمر " عند ظهور أية مظاهرات من أي محل تقوم القطعة بفتح النار فورا دون تردد ودون انتظار لا ستلام أمر أخر . يبدو إن القائد المشار إليه كان يدرك بان المظاهرات في النجف تعني رموز لبقية المناطق للمشاركة أو زيادة الفاعلية في المظاهرات لذلك كان التوجيه بضرورة إخماد أي تظاهر. للمزيد د ت و القسم العسكري ، الاضبارة التقاعدية لعباس علي غالب رقم 1102126 ، نقلا عن نضال أبو جواد أمانة ، موقف الفرقة الأولى في لواء الديوانية من التطورات السياسية في العراق من عام 1936 – 1958 ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة القادسية 2011 ، ص 176 ، 287

[116] - المصدر نفسه ، ص 287

[117] - يعرب عبدا لرزاق عبد الدراجي ، الأحكام العرفية في العراق ظروفها التاريخية وأثارها السياسية 1924 – 1957 ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة القادسية 2009 ، ص 185 ص 185

[118] - ليث عبدا لحسن الزبيدي ، ثورة 14 تموز 1958 في العراق ، دار الرشيد سلسلة دراسات (184) ، (بغداد) ، ص 217

[119] - وسن سعيد الكر عاوي ، المصدر السابق ، ص 157

[120] - وهو من أصل كردي عين قبل الثورة مديرا لتجنيد كربلاء وذلك عام 1947 ومن خلاله أقام علاقات وطيدة مع أهالي النجف وكربلاء وما يؤشر عمق العلاقة مع الأهالي في المدن المقدسة عندما تم ترفيعة إلى رتبة أعلى انهالت عليه برقيات التهنئة والتبريكات من أهالي المدينتين . للمزيد ينظر، وسن سعيد، المصدر السابق، ص ص 157 – 158

كربلاء علما انه تم دون استشارة المعين [121] في منصبه الجديد ولكن الهدف الأساسي هو كسب ود المرجعية وأهالي المدن المقدسة ويبدو إن القيادة السياسية التي أوصت بتعينه محقة ، ومنذ الأيام الأولى للثورة جاء فؤاد عارف لزيارة السيد الحكيم وطلب من سماحته تأييد الثورة الذي حظي بتأييد الجميع ، إلا إن السيد الحكيم رفض الطلب بالموافقة منذ اليوم الأول للثورة على اعتبار إن الثورة لم تكن قد اكتملت وبانت هويتها وأي تأييد في تلك المرحلة يعد متسرعا وتتهم المرجعية بالتسرع في اتخاذ القرار الغير مدروس وكما قال السيد الحكيم " ... إن لكل شيء حسابا وهؤلاء لااعرفهم [122] . بعد استقرار الأوضاع في الداخل وبدأت تتضح هوية الثورة أرسل السيد الحكيم رسالة تهنئة بعثها من خلال فؤاد عارف إلى كل من مجلس السيادة ورئيس مجلس الوزراء الزعيم الركن عبدالكريم قاسم يبدو إن هذا التأييد له أهمية كبيرة في نظر الزعيم عبدا لكريم قاسم وكما اكمد ذلك فؤاد عارف بقوله " ... لقد أخذت رسالة السيد الحكيم إلى جانب رسائل علماء الدين الآخرين في النجف الاشرف وتوجهت إلى وزارة الدفاع وعندها أخبرت الزعيم باني حصلت على تأييد علماء النجف وكربلاء فاعتبره الزعيم جهدا استحق عليه الشكر والتقدير وقد تضمنت رسالة الحكيم على محاور أساسية منها ضرورة إقامة العدل بين الناس وتطبيق تعاليم الدين الاسلامى وحذر من مغبة الاستحواذ بالحكم وكذلك التوصية بالتبصر بمن مضى وكيف كانت نهايتهم ورد الزعيم عبدالكريم قاسم بالشكر للسيدالحكيم على رسالته وتطمينه بتحقيق مطالب المرجعية بحماية الشعائر الدينية وإقامة العدل والمحافظة على المصلحة العامة . يبدو إن حكومة الثورة كانت تعد حصولها على تأييد المرجعية وعلماء الدين انجازا كبيرا لأنها تضفي الشرعية على الحكم وتزيد من تأييد الناس لهم ويعطيهم دفعا نحو الإمام ، إلا العلاقة بين المرجعية الدينية والنظام السياسي لم يستمر طويلا إذ سرعان ما بدا التصدع عندما بدأت الدعوة للسفور بحجة إن الحجاب شوه بفعل ما قام به رئيس الوزراء نوري السعيد في ساعاته الأخيرة واستنكر السيد الحكيم هذه الدعوة هذا الأمر دفع السلطة الحاكم إلى منع تدخل علماء الدين بالساسة وضرورة الاكتفاء بالشؤون العبادية وما يرتبط بها ولذا اضطر بعض العلماء إلى مزاولة العمل السياسي بصورة سرية [123] مما تقدم يبدو لنا إن لعلماء الذين عموما وفي أقطار العالم مكانتهم وتأثيرهم في المجتمع ولعلماء الشيعة بالذات مكانتهم المميزة بصفتهم وكلاء الإمام الغائب (المهدي عج) لذلك كانت الإدارة البريطانية تخشى ومنذ الأيام الأولى للاحتلال مدينة النجف بسبب مركزها الديني المتميزة وتأثير علمائها على مقلديهم [124] . مع إدراكنا إن تأثيرهم لا يقتصر على مدينة النجف بل إلى المناطق المجاورة وفي ضوء ذلك يمكننا تقسيم المناطق التي تتأثر بعلماء النجف وحسب تأثيرهم في الحياة العامة وكما يلي :-

[121] - يذكر فؤاد عارف بان امر تعينه صدر في 14 تموز 1958 وسمع به مثل بقية المواطنين من خلال إذاعة بغداد ، للمزيد ينظر وسن سعيد الكر عاوي ، المصدر السابق ، ص 158

[122] - المصدر نفسه ، ص 158

[123] - المصدر نفسه ، ص ص 160 – 161

[124] - السيد محمد علي كمال الدين ، ثورة العشرين في ذكراها الخمسين ، معلومات ومشاهدات في الثورة العراقية الكبرى لسنة 1920 ، (بغداد 1976) ، ص2

المنطقة الأولى التي تشغل من قبل العاملون في السياسة والمؤامرات فحصلوا على تدريب بتدخلهم مع ساسة البلاد وهدفهم الاستفادة من كل الفرص.

المنطقة الثانية وهم سكان المدن من الشباب الذين اكتسبوا شيئا من الأفكار الحديثة واعتادوا الانتقاد والظهور بالمعارضة وعدم الرضا من الحالة القائمة.

المنطقة الثالثة وهم البدو والعشائر البعيدة عن الحضارة والتي لاتفهم معنى السياسة والأحزاب ويميلون إلى الفوضى باستمرار [125] .

لقد اعتقدت السلطة إن مساهمة علماء الدين ولاسيما المراجع بالدعوة للانتصار للأمة على أعدائها وأضحوا أداة تحريك مقلديهم في المدينة والريف وأصبحت إعمالهم تقلق السلطة لذلك وصفوا في بعض تقارير وزارة الداخلية بالشعوذة الذين يودون إن يلحقوا إضرار كبيرة بالمجتمع وصنفتهم إلى أربعة أصناف إلا إنها استثنت المجتهد [126] وهم كما يلي :-

الصنف الأول أطلق عليهم وكلاء المجتهدين الدائمين ويسكنون مراكز الألوية والاقضية والنواحي وهم في منزلة تقترب من درجة الاجتهاد وأكثرهم لايكونون مقلدين بل يعملون في الاحتياط وفي ضوء ذلك تنصح الوزارة إلى إداراتها بوجوب مراقبتهم بصورة مستمرة وتستقصي الأخبار عنهم وضرورة إن يكون الموظف الإداري على علم تام بمواقفهم وحركاتهم .

الصنف الثاني الدعاة المتجولين ويكونون اقل منزلة من الصنف الأول ومهمتهم إرشاد الناس وحثهم على الالتزام بالدين ونبذ الموبقات ومهمتهم الحقيقية هي الدعوة للمجتهد بقصد زيادة عدد مقلديه.

الصنف الثالث وهم قراء التعازي الحسينية ومهمتهم تلاوة التعازي والبحث في واقعة ألطف واستبكاء الناس لقاء أجور يتفقون عليها مع من يرغب بإقامة حفلات التعزية .

الصنف الرابع وهم البسطاء من المعممين الذين لايحسنون القراءة والكتابة ولم تكن لهم أية معلومات شرعية ويستطيعون التجوال بين العشائر فتنطلي خدعهم [127] .

يبدو إن التقسيم يهدف إلى تحديد أخطار كل صنف ووضع الضوابط للحد من فاعليتها المناهضة للسلطة ووضعت قانون ينظم عملهم وبعكسه يخضع المخالف للمسائلة القانونية وتضمن القانون المواد التالية :-

1- عدم جواز تجوال الأجانب بين القبائل العراقية بحجة الإرشاد ويباح لهم التجوال داخل المدن والقصبات فقط ويبدو إن هذه المادة وضعت لأدراك الحكومة بان مناطق العشائر تتأثر بسرعة بتوجهات علماء الدين.

---

[125] - و د تقرير متصرفية لواء الديوانية رقم س / 22 في 8 / 1 / 1937 ، موضوع الوضع العام في اللواء

[126] - تم استثناء المجتهد لعمر،ها مكانته والعوامل التي تساهم في تعزيز مركزه والمتمثلة بالتفاعل العميق بينه وبين مقلديه وعددهم وشهرتهم ولكي يصبح المرء مجتهدا عليه البقاء في النجف ويدرس مدة طويلة وعندما يثبت جدارته من خلال فتواه وتوحده وسلوكه وتفهمه الديني بعدها يمنح الاجتهاد . للمزيد ينظر وميض جمال عمر ، المصدر السابق ، ص 17

[127] - و د تقرير متصرفية لواء الديوانية رقم س / 951 في 21/ 7 / 1936 إلى وزارة الداخلية ، موضوع تطهير صفوف العشائر من المشعوذين

2- يجب على كل عالم ممن يرغب التجوال بين المدن والقصبات والجماعات العشائرية بقصد بث الدعوة الدينية إن يستحصل على وثيقة من مجتهد معترف باجتهادمعترف باجتهاده يصادق على صحة توقيعه عليها الموظف الاداريالذي يسكن المجتهد في وحدته الإدارية للحيلولة دون تزويرالوثائق بأسماء المجتهدين .

3- من يحمل تلك الوثيقة ويرغب الدخول إلى وحدة إدارية عليه مراجعة موظفها الإداري ويبرز تلك الوثيقة ثم يعرفه عن القرى والجماعات التي يرغب التنقل بينها .

4- لايجوز لوكلاء المجتهدين أو الدعاة الحاملين للوثائق المذكورة إن يتطرقوا للمواضيع السياسية لأعلى منابرهم ولا في أحاديثهم وان تكون مواعظهم وإرشاداتهم مقتصرة على القضايا الشرعية .

5- عند مخالفة الوكلاء الدعاة ما ورد في المادة الرابعة فيكون معرضا للعقوبة .

6- كل شخص يرغب ليكون قارئ تعزية عليه إن يثبت قابليته ومعلوماته الكافية في الوقائع التاريخية.يبدو لنا إن تصنيف أساتذة وطلبة الحوزة العلمية وصدور قانون ينظم عملهم ، إلا إنهم مع ذلك أصبحوا محور للالتقاء لتحقيق بعض المطالب ومختلف الاتجاهات ، فقد اجتمع الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء والشيخ هادي كاشف الغطاء والشيخ عبدالكريم الجزائري والسيد محمد علي بحر العلوم في دار الشيخ جواد صاحب الجواهر وقرروا مساندة حزب النهضة وكذلك المطالبة بإسقاط الوزارة القائمة [128] . وفي ذات السياق يذكر متصرف كربلاء عند وصوله للنجف زاره جماعة من العلماء والإشراف ومنهم الشيخ جواد صاحب الجواهر والسيد محمد علي بحر العلوم والسيد حسين كمال الدين وعند تقويمه للشخصيات المذكورة أكد انه لم يرى شخصية بارزة والكل يسعى لمصلحته وعلى الحكومة عدم التأثر بكلامهم [129]

لقد أضحت النجف في ضوء ما تقدم المركز الرئيس للحوزة العلمية والمكان المناسب لعرض الطلبات والمعارضة للحكومة وتم عقد اجتماع ضم رؤساء العشائر ومنهم داخل الشعلان وعبد العباس أل شعلان وسالم الخيون ومجيل الفرعون وعبادي الحسين وعبدالواحد الحسين وعبدالواحد سكر وتم الاجتماع مع العلماء مع العلماء ويبدو إن قصد رؤساء العشائر استشارة العلماء في اتخاذ التدابير اللازمة مع الحكومة في كيفية زيادة عدد الموظفين من الطائفة الشيعية في دوائر الدولة وليكن القياس عدد الموظفين [130] .

إن توجهات الاجتماعات المذكورة كانت مدعاة لاستمرار الاضطرابات ولإدراك الحكومة إن ورائها بعض العلماء بعض العلماء الدافعين للاضطرابات ومن اجل تطويق الاضطرابات المذكورة أصدرت الحكومة مرسوما لإسقاط الجنسية رقم 62 لسنة 1933 وتضمن ما يلي " ... بناءا على ما عرضه

[128] - و د تقرير متصرفية لواء كربلاء رقم 22 في 18 / ايلول / 1927 ، إلى وزارة الداخلية موضوع الزيارة
[129] -و د تقرير متصرفية لواء و د تقرير متصرفية لواء كربلاء رقم 1 في 25 / أب / 1927 إلى وزارة الداخلية ، موضوع تقرير
[130] - و د تقرير مديرية شرطة الحلة رقم س/ 90 في 16 / أب / 1932 إلى وزارة الداخلية ، موضوع تقرير

وزير الداخلية ووافق علية مجلس الوزراء صدر المرسوم التالي :- لمجلس الوزراء إن يقرر إسقاط الجنسية العراقية عن كل عراقي لم ينتم إلى أسرة ساكنة عادة في العراق قبل الحرب العالمية الأولى ، إذا نفذ أو حاول إن ينفذ عملا يعد خطرا على امن الدولة وسلامتها وتضمنت المادة الثانية انه لوزير الداخلية إن يأمر بإبعاد من أسقطت عنه الجنسية العراقية إلى خارج العراق إذا تبين له إن إبعاده مما يستدعيةالامن والراحة العامة [131]

بموجب المرسوم المذكور أنفا تم إسقاط الجنسية عن الشيخ احمد أسد الله مما حدا بعض العلماء يعتقون إن تخفيف المطالب جاء تحت ضغط الأحداث وهو مؤشر بان علماء الحوزة والإدارة المحلية خطوط متوازية والتقارب بينهما يمثل التفتيش عن عوامل الافتراق الأقوى .

إن الدور المتمبز لعلماء لعلماء النجف دفع قادة الإدارة المحلية التوجه لزيارة العلماء في مناطق سكناهم إلا البعض اعتقد إن هذه الزيارات قد تفسر من بعض العلماء بضعف السلطة وقد تزداد مطالبيهم [132] . وفي الأخير الأجدر إن يترك العلماء وشانهم في ممارستهم السياسية . يبدو إن وجهة نظر الحكومة صائبة إلى حد ما .

الخاتمة

كانت وستبقى الحوزة العلمية واحدة من أهم العناصر الفاعلة في صنع التغيرات للساحة السياسية وكما وصفت بأنها المحرك للمجتمع العراقي بصورة خاصة ومقلديهم في عموم العام بصورة عامة ويتم ذلك من جراء التنسيق بين السياسيين وقادة الحوزة ومن خلال هذه المعادلة يتحرك المجتمع العراقي المقلد للزعامة الروحية سلبا أو إيجابا من السلطة القائمة ولأجل ضبط حركة المجتمع المنوه عنه شغلت وزارة الداخلية بما يدور داخل الحوزة وسعت إلى مراقبتهم ووضع الضوابط لتطويقها أو الحد من فاعليتها وهذا العمل كان متباينا وهذا الأمر يدخل ضمن باب خرق جدار الحوزة من الداخل لذلك قدمت وزارة الداخلية طريقها من اجل ضبط الحوزة وبالتالي ستضبط المجتمع الذي يتأثر بتوجيهات الحوزة ويمكننا إن نقيس فاعلية الحوزة وحسب المراحل الزمنية في تاريخ العراق ففي المرحلة الأولى والتي يمكن إن نحددها في الربع الأول من القرن العشرين كان تأثيرها بسيط بفعل ابتعاد المؤثر الأساسي في الساحة السياسية العراقية عن الحوزة أما في المراحل اللاحقة عندما دخلت العشائر كمتغير في الساحة السياسية وبما إن المجتمع العراقي عموما مجتمع عشائري فمن البديهي إن يتأثر المجتمع بتوجيهات المرجعية ، ولكن عندما دخل الجيش كمتغير جديد في الساحة السياسية لاسيما إن الجيش مارس دورا موجها للعملية السياسية بفعل القوة التي يمتلكها وبالتالي اضعف دور الحوزة العلمية لان قادة الجيش فليلوا التأثر بتوجيهات الحوزة ورجالها ، ومع ذلك لاحظنا في بعض المراحل يتجه قادة الجيش إلى رجال المرجعية لشحذ الهمم في وقت الأزمات كما حدث ذلك عندما

[131] - الحكومة العراقية ، وزارة العدلية ، مجموعة القوانين والأنظمة لسنة 1933 ، (بغداد 1934) ص 626

[132] - و د تقرير متصرفية لواء كربلاء رقم س/ 3117 في 1/ أيلول / 1927، موضوع العلماء وموضفوا الإدارة

انطلقت ثورة مايس وحدث الاصطدام العسكري بين القوات العراقية والبريطانية وكذلك بعد انتصار ثورة تموز عام 1958 وفي ضوء ذلك لاحظنا إن الحوزة العلمية والقائمين عليه أضحت المادة الأساسية في الوثائق العراقية .